حياة الجيران المثيرة

حياة الجيران المثيرة

قصص
حسن أحمد إسماعيل
الطبعة الأولى : ٢٠٢٠
رقم الإيداع : ٨٢٢٠ / ٢٠٢٠
ISBN 978-977-6739-35-2
٢٦٠ ص ٢٠ سم
الناشر: الحسناء للنشر والتوزيع
{جميع الحقوق محفوظة ©}
التوزيع لجميع أنحاء العالم
الإسكندرية
ج ٠ م ٠ ع

المراجعة اللغوية: عادل أبو الأنوار
إخراج فني: أمير مصطفى

www.idafabooks.com

حياة الجيران المثيرة

قصص

حسين أحمد إسماعيل

إهداء

إلى جيراننا على الأرض:

إلى الحيوانات، والطيور، والأسماك،

والحشرات، والأشجار، والنباتات، والآلات.. إلى

هؤلاء الجيران الرائعين، ليعرفوا أنني أحبهم،

وأحترمهم، لأنهم يستحقون الحب والاحترام.

وإلى كل أطفال العالم الذين سيستمتعون دائمًا

بحياة الجيران المثيرة.

وإلى كل طفل فقير في أبعد كوخ على وجه الأرض.

وإلى شهري يونيو، ويوليو اللذين كتبتُ فيهما

حياة الجيران المثيرة ليل نهار من عام ٢٠٠٩.

حسين أحمد إسماعيل

كفر سعد أغسطس ٢٠٠٩

صلاة الأرنب

متحفزًا بكل شعرة من جسمه انقضّ الثعلب بيكا على الأرنب درش الذي كان منتبهًا، فأسرع إلى جحر قريب، واتخذ ملجأ مؤقتًا يحميه من الوحش الخبيث الذي يشتهي لحمه.. هكذا كان يفكر درش، وهو يعرف أنه في ورطة، وسوف يتلطخ فراؤه الأبيض الناعم بالدم، فأخذ يلصق جسمه مرعوبًا بأحجار الجحر، بعيدًا عن بيكا المجنون الذي كان يدخل أنيابه الرهيبة داخل الجحر بلا فائدة.

أخذ درش يدعو الله: قف بجواري يا إلهي.. فماذا أفعل؟ إنه يشتهي لحمي، سيمزقني حيًا. هل يرضيك ذلك أيها الخالق؟ وأنا أكثر الحيوانات شكرًا لك على الحشائش الخضراء التي تملأ أرض الغابة. قف معي يا أبي. أنت أبي وخالقي. إن صغاري في خطر.. آه.. كيف غامرت وابتعدت عن جحري المحصّن ذي المداخل والمخارج المتعددة، بينما عيون الوحش ترصدني وأنا سادر في جهلي بحثا عن الطعام.. يا إلهي أصلّي لك عدد شعر جسمي أن تنقذني وتحميني.

جلس الثعلب بيكا أمام فتحة الجحر الضيقة يستمع إلى درش، ويضحك قائلا: إنّ الله لن يستمع إليك أيها اللذيذ، فأنا جائع، وقد دعوت الله اليوم دعاءً حارًا أن يهيّئ لي طعامًا شهيًا. إنّ الله سيقفُ بجواري لأسباب عديدة كلها في صفي، أولها: أنت في جحر ضيق بلا مخارج، وأنا على بابه أجلس في انتظارك، وأنا أستاذ

في الصبر والحيل، والغابة كلها تعرف ذلك، ولا يوجد أمامك في هذه الحياة إلا طريق واحد، فقط طريق واحد، وهو الطريق إلى أنيابي.. وأنا أؤكد لك مرة أخرى، وألف مرة أنّ الله لن يقف بجوارك؛ لأن معنى هذا أن المفترسين – مثلى – سيجوعون، لو وقف الله بجوار العاشبين.. كما أنكم تتناسلون بغزارة من أجلنا، وأنت تعرف ذلك أيها اللذيذ.

ظل درش يرتعش خوفا وهو يتخيل مصيره، ويصرخ: ابتعد. ابتعد أيها الوحش القذر، وابحث عن طعام غيري، فالحياة أمامي. ضحك الثعلب، وقال: وأنا أيضًا ما زلت شابًا والحياة أمامي أيها الأرنب الكافر، فمعنى أنك تتهرب مني أنك كافر بقانون الغابة، وسوف يعذبك الله عذابًا شديدًا، لأنني في حاجة إلى لحمك اللذيذ لتستمر الحياة، وأنا لا أحبك، بل أعشقك عشقا.

تأمل الثعلب مدخل الجحر قليلا، ثم بدأ يحفر ليوسع المدخل، وأخذ يتسلّى بتعذيب درش قائلا: أنت أغبى أرنب في هذه الغابة، وأنت صيد مضمون تمامًا، فلا يوجد خرم إبرة أمامك لتهرب، وأنا لن أنتظر كثيرا.. لذلك سأواصل الحفر لدقائق أخرى.. أتظن أنني بلا عمل، وسوف أتفرغ لانتظارك؟ ما أنت إلا أكلة شهية من أكلات حياتي، فلِمَ كل هذا البكاء والعويل؟.. فلو لم تدخل هذا الجحر لكانت متاعبك قد انتهت، وكنت الآن في معدتي بلا ألم.

تبوّل الأرنب من الفزع، ولم يعد يستطيع التفكير، وهو يستمع إلى الثعلب يواصل تعذيبه بصوته القبيح: أمامي نصف دقيقة لأصل إليك أيها اللذيذ.

سمع الأرنب صوت البشر من بعيد، وهذا الأمر غير جيد أيضًا، فالإنسان لا يقل وحشية عن الثعالب، والفهود، والنسور، والضباع.. فجأة سقط الثعلب أمامه، وكان وجهه المرعب في مدخل الجحر، وأخذ ينظر إلى درش نظرات ثابتة، ثم نام، وملأت الجحر رائحته المنفرة.

❊ ❊ ❊

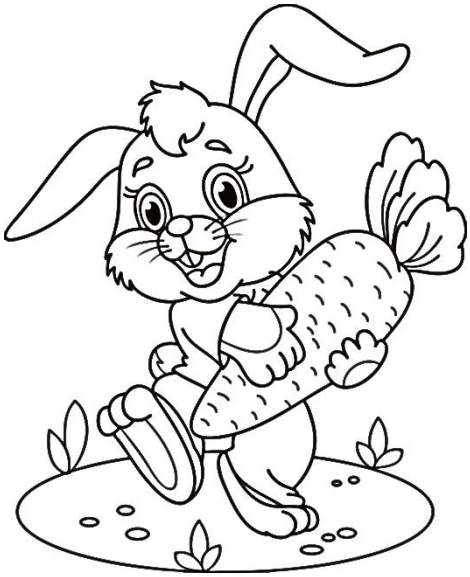

هل هذه حيلة من حيل بيكا صاحب الحيل كما يقول؟ ولكن ما هذا؟ اقترب صوت البشر، فكتم درش أنفاسه، وهم يجرّون الثعلب، ورآهم يضعون طوقا حول رقبته، ثم يغرسون شيئا في جسمه ويتركونه.. انطلق كالسهم من الجحر، وهو يلمح الثعلب راقدًا بلا حركة.. ولم يقف حتى استقبله إخوانه في جحرهم الواسع الممتد، فتنهد درش وقال: كتب الله لي عمرًا جديدًا، وبدأ يحكي للأرانب ما حدث بأسلوبه المثير، وبعد أن انتهى صرخت الأرانب من الدهشة، رغم أنه غيّر في الحكاية قليلا ليثبت شجاعته.. وتابع درش: أيها الإخوان، لقد عرفت اليوم روعة الصلاة الحارة، وكان الله يقف بجانبي.. ومن اليوم، من هذه اللحظة على كل أرنب أن يصلّي صلاة حارة قبل أن يخرج من هذا الجحر.

❊ ❊ ❊

مؤامرة في حديقة المرجان

خرج الأخطبوط المعروف بالشبح الرهيب، فارتعب سكان الحيد، وأسرع الجميع إلى المخابئ عندما وصلتهم إشارات التحذير من سراطين وأسماك الحراسة، والتي لا تنفع كثيرًا؛ لأن الأخطبوط بارع جدًّا في التمويه، وتغيير ألوانه، كما أن له قوة أسطورية على تشكيل جسمه بأشكال غريبة وخادعة، فلا تشعر به الفريسة إلا حينما ينقض عليها بأذرعه العديدة، ومجساته اللاصقة.

في هذه الأثناء كان السرطان الكبير الملقب بالجنرال يتجول باحثًا عن فريسة، وهو يعرف أن السرطانات هي الوجبة الشهية للشبح الرهيب.. ومع ذلك لم يهتم بالتحذير لأنه يثق في قدرته ثقة مطلقة، فكلابتاه قاطعتان.. وقف الجنرال في حركة مفاجئة، ولوح بكلابتيه وقال: إنى أتحداك أيها الأخطبوط، أيها الشبح الجبان.. أظهر نفسك، انظر إلى قوتي. أمسك الجنرال قطعة مرجان بكلابته القوية، وسحقها في استعراض.. سأمزق مجساتك أيها المخادع. إنني أحطم الحجر أيها الرخوي.

أخذت السرطانات والأسماك تحدق مذهولة من جرأة الجنرال المتهورة، فهذا أعجب شيء حدث في حياتها.. قال عطيتو قائد السرطانات: اهرب أيها الأحمق. هل أكلت شيئا سامًا؟.. وفي لحظة وجدوا الشبح الرهيب يظهر كالقدر، ويفاجئ الجنرال الذي لم تنفعه كلابتاه

الحادتان.. لقد قفز الشبح فوق الجنرال، وعصره، وحطم قشرته بسهولة، وأكله في لذة عظيمة وهو يتأوه من طعمه اللذيذ، وعندما تركه واختفى، رأى سكان الحيد في مكانه قشرة فارغة، فارتعب الجميع من هذا الخطر الداهم، وكرهوا الحياة، ولكنهم شعروا بالأمان مؤقتًا، فالوحش أكل وجبة دسمة.

اجتمعت السرطانات بقيادة عطيتو وذهبوا إلى أنقليس موراي المهيب.. ذلك الثعبان المائي بطول متر وعرض شبر، بنابيه البارزين.. اصطفت عشرات السرطانات خلف عطيتو الذي قال للأنقليس الذي لا يظهر منه إلا وجهه، وباقي جسمه مختف في جحره: أيها الموراي المحترم، إنّ الشبح الرهيب أهلك السرطانات، وهو لا يريد أن يغيّر طعامه، فالأسماك متوفرة ولكنه يضطهدنا، ونريدك أن تخلصنا منه، فقال أنقليس الموراي: يسعدني ذلك، فلحم هذا الشرير لذيذ جدًا، ولكنكم تعرفون أنه قادر على قتل سمكة قرش في طوله خنقا، وأنتم تعرفون معنى ذلك. قال عطيتو: نعم إنه خطير.

إذن ما الدافع لأدخل في معركة خطيرة تحتاج إلى موراي آخر معي؟ فقال عطيتو: ألم تقل إنّ لحمه لذيذ؟

بلى، ولكن الأسماك اللذيذة متوفرة بلا مخاطر.

- ولكنك بطل مشهور، وتمتلك سُمًّا في نابيك.

ها ها ها.. لقد أضحكتني يا عطيتو.

- إذن ماذا تريد أيها المواراي المهيب، والأشد مهابة من سمكة قرش بيضاء؟

أريد سمكة طازجة كل يوم لمدة ثلاثين يومًا، ولن أقبل بأقل من ذلك، وهذه خدمة أقدمها لأهل منطقتي من السرطانات المحترمة، والأسماك اللذيذة.

- أوافق.. وستعمل السرطانات على توفير ذلك.

اتفقنا، ولكني أحتاج إلى سرطان متطوع، يرابط قريبًا من جحري ليكون فخا، وسيكون في حمايتي.

- أنا لها.

❊ ❊ ❊

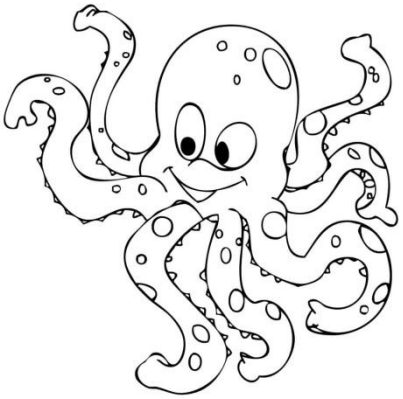

ظل عطيتو في مكان ظاهر حسب الاتفاق، يدعو الله أن ينقذه، ولم يشعر إلا والشبح الرهيب فوقه يغطيه بجسمه المرعب، ولكن الأنقليس هاجمه بعنف، وأمسك أحد مجساته، وخدره بالسم وأمسكه بإحكام، وأخذ يدور دورات سريعة جدًا ومرعبة، حتى قطع الذراع من جوار الجسم، وأكله، بينما كان الشبح يترنح من الألم، ويحاول الهرب، ولكن أنقليسًا آخر أمسك ذراعًا أخرى، وقطعها بالطريقة المرعبة نفسها، ثم عاود الأنقليس الأول وقطع ذراعًا أخرى، حتى لم يعد الشبح الرهيب يستطيع المقاومة بسبب الألم وسم الأنقليس، ولم يعد فيه من الرهبة ذرة واحدة.

كانت مئات العيون، بل ألوف العيون تشاهد المعركة، فتشجع بعضها، وانقض على الأخطبوط، والتهموه قطعة قطعة، بلذة لم يعرفوها من قبل.

هاج الحيد من شدة الفرح، ولم تصدق السرطانات أنها تخلصت من الوحش، وأصبح هذا اليوم عيدًا قوميًا للسرطانات، كما أصبح الجنرال بطلا مقدسًا، وتم تنصيب عطيتو ملكًا للسرطانات إلى الأبد، في حفل مشهود.

❊ ❊ ❊

أخلاق باسو

بيني وبين القط باسو المتشرد عداءٌ قديم.. لا أحبه ولا يأمن جانبي. من سنوات كان بيتي مأوى لقبيلة من القطط، وكتبت عنها فصلا طويلا في روايتي: حافة الغابة.. قبل أن أقوم بثورة شاملة، وأطرد جميع القطط..

أما سبب العداء فقد حكيته في الرواية.. باختصار أكل باسو المتشرد الفرخة المشوية بعد أن تعبت في إعدادها، فضربته وشتمته وطردته، ولكنه كان يقف بعيدًا، ويشتمني، ويتطاول عليّ بموائه البغيض.. أو يظل ساعات تحت نافذتي يتغنّى بمآثر أعدائي، ويتهمني أمام جميع القطط بالبخل، فوجدت أفضل حل لمحاربته هو إهماله تمامًا، وإكرام باقي القطط، ولكي أحرق قلبه كنت أشتري كل أسبوع كيلو من الأسماك الصغيرة، وليمة للقطط، وأغلق الباب في وجهه. ذلك الصايع المتشرد.

وفي ليلة كنت أجلس وحيدًا أشاهد قناة الجزيرة الوثائقية، ففوجئت بباسو يفتح باب الحجرة، ويدخل بخطوات واثقة، ويتمسّح بي ويموء استرضاءً، ويعتذر عن كل ما فعله سابقا. إنني أعرفه وأشك في سلوكه، فلا يتغير باسو هكذا بين يوم وليلة، وقلت: أحيانا يتوب القتلة.

عرفت أنه جائع ولا يجد طعامًا وقلت: سأطعمه ربما يكف عن مهاجمتي عند جميع الحيوانات والطيور..

أحضرت له قطعة من اللحم ونصف رغيف، فأكل ومضى دون أن يشكرني، وكأنه قدّم لي خدمة عندما أكل طعامي.

❊ ❊ ❊

ملك الغابة الجديد

أسمته أمه كوكو، ولقّبه أبوه بالولد الطائر، نظرًا لبراعته غير المسبوقة في الطيران القافز بين الأشجار العالية، وسرعته ومهارته، وخفة حركته. لقد كان ظاهرة بين القرود منذ كان صغيرًا يتعلق بجسد أمه. كان مختلفا وله أساليب خارقة، واستقلالية أكبر من سنه، وله طموح سيجعله خالدًا في الغابة.

فى أول مرة ترك أمه. وتقافز على أرض الغابة، أخذ يحدّق إلى محيطه دهِشًا من كم الحيوانات التي تختلف عنه في الشكل والتكوين.. وفي لحظة وجد يدَ أمه تخطفه، وتصعد به إلى أقرب شجرة، وهي تطلق صراخًا حادًا من شدة الفزع مع باقي القرود، وعندما لاحظ ما يحدث، وجد لبؤة تطبق على رقبة حمار وحشيٍّ ضخم، بعد مطاردة عنيفة، وشاهد لأول مرة في حياته صراع الموت والحياة، وعرف بعد ذلك أن الموت ينتصر دائمًا، والحياة تنتصر أحيانًا، ولانتصارها فرحة هائلة.

كان كوكو فضوليًا مستطلعا، لا يقنع بما بين يديه، ويريد أن يعرف كل شىء، ويجرب كل شيء، وكاد فضوله أن يهلكه مرات عديدة، وهو يعجب كيف وصل إلى مرحلة الشباب، ونجا من كل ما أوقع نفسه فيه.

أخذ كوكو يلازم البشر الذين يأتون إلى الغابة معجبًا بهم، وكانوا آلهة في نظره، حتى أنه ربط فرعين من الأشجار على كلٍّ من ساقيه، ليسير مستقيمًا، وكان

يتدرب ليلا والقرود نائمة، ويتركهم لأيام كل أسبوع في كهف منعزل ومهجور، ليتدرب حتى يسقط من الإجهاد. استمر في هذا التدريب سنوات تحدوه أشواق غامضة السحر.. وهو يلاحظ عضلاته وهي تقوى على حمله مستقيمًا خطوات، ثم خطوات أكثر فأكثر.. حتى أصبح يسير لمسافات طويلة مثل البشر تقريبًا، بعد أن تحورت عضلات ساقيه، والعضلات المحيطة بأسفل العمود الفقري، فتمكن من السير مستقيمًا لفترة أطول من أي قرد في تاريخ القرود.

أصبح كوكو ضيفا دائمًا على مخيمات البشر والعلماء الذين يدرسون الغابة وقد أعجبوا به وتركوه يحرس الخيام، ويرتّبها، وينظّفها، حتى اكتسب ثقتهم الكاملة، وفي الليل كان يجلس حارسًا أمام الخيام، ولف على مؤخرته قطعة من القماش القديم.. وشعر باحترام كبير لنفسه بعد أن فعل ذلك.

عشرات المخيمات على مدار سنوات.. كان كوكو هو نجمها، وأخذ العلماء يصوّرونه، ودرسوا كيفية سيره مستقيمًا أو شبه مستقيم لمسافات كبيرة، وسحرهم باستخدام يديه ببراعة.. ومقابل ذلك استفاد كوكو منهم فائدة عظيمة، حيث كان يراقب كل تصرف وكل حركة، ويجلس بالساعات أمام جهاز التليفزيون، ويشاهد الأفلام بشوق روحي حقيقي.. كان يتشرب هذه المعارف والمعلومات شرب الظامئ، وسحرته أفلام

الحركة، واستخدام السيوف، ولم يكن يمل مشاهدتها، وفي النهاية أخذت تقل زيارته لتجمعات البشر، والمهتمين بالبيئة، بعد أن سجّلوا عنه أفلاما وثائقية، وكان قد حصل على ما يريد: خنجر رهيب لامع له جراب قوي مربوط في حزام، وعدد من السكاكين المتنوعة، وقداحتين، وخمس علب كبريت، ومرآة سيدهش بها الغابة بعد ذلك.. كانت هذه ثروته، وكان يعرف استخدام كل منها جيدًا.

ربط حزام الخنجر على وسطه، وأحكم إخفاء عورته ببعض الملابس التي أخذها من البشر، وأخفى السكاكين والقداحتين والكبريت في صندوق صغير جميل، وأخفاه بعناية في مكانه السرّي.

* * *

في مكان متسع بين الأشجار، وقف، وصرخ بأعلى صوته، وكان يمسك في يده عصا خشبية رائعة وقوية من مخلفات البشر، فالتفتت القرود مستغربة ومنبهرة، وهي تعرفه دائمًا غريب الأطوار ومجنونا، ولكن ما رأته فاق كل تصور، عندما نزع الخنجر اللامع من الجراب، ولوّح به، فارتعبت القرود، ورجعت إلى الخلف مرة واحدة، واقتربت مرة ثانية في وجل ودهشة من ابن جلدتهم الذي أصبح مثل البشر..

ولم تعرف ما في يده بلمعته المخيفة، فأمسك كوكو فرعًا من شجرة صغيرة قريبة، وقطعه بضربة واحدة من الخنجر، ثم لفه في يده، وبين أصابعه كما شاهد في الأفلام، وعندما اقترب الزعيم، ولمس حافة هذا الشيء الرهيب ارتدّ مذعورًا، وقد سالت الدماء من أصابعه، وعرف أن كوكو قد أصبح الزعيم، وتأكد أنّ عصرًا جديدًا قد بدأ، ولكن الغريزة أقوى. أخذ الزعيم يقفز، ويضرب على صدره مهدّدًا متوعّدًا، وأمسك حَجَرًا، وقذف كوكو به، فتفاداه كوكو، وعندما قفز الزعيم عليه لم يتراجع، وإنما شق بطنه بضربة واحدة، فرقد الزعيم على الأرض وقد خرجت أحشاؤه، وأخذ ينظر بلا فهم حتى مات.

هاجت القرود أمام هذا الهول الجديد من القرد الذي يقف مستقيما كالبشر، والذي تهون أمامه الأسود والضباع، ثم تفرقوا إلى الأشجار يناقشون ما حدث، بينما التفت جميلات القرود حول كوكو، وفي الصباح تم تنصيبه زعيمًا لجميع قرود الغابة.

❊ ❊ ❊

انتشر الخبر في الغابة، لأنّ الثعلب بيكا – صديق كوكو – كان يراقب ما حدث، والغراب قيقة، وعشرات الطيور، والغزلان، والأيائل، والببغاء إش إش.

ابتسمت الذئاب سخرية، وضحك النمر عوكل حتى انقلب على ظهره من شدة الضحك، وهو يستمع إلى الثعلب بيكا. ماذا تقول؟ القرد الطائر كوكو نصب نفسه ملكًا على الغابة، هاهاها.. كوكو المعجب بالبشر يريد أن يكون ملِكًا، لقد أضحكتني يا بيكا وأنا لم أضحك من شهرين. فقال بيكا: إنه يسير مستقيمًا كالبشر، ومعه سلاح قاتل، فواصل عوكل الضحك، وقال: وماذا في ذلك؟ إنني أقتل البشر بسهولة، إنهم يتبوّلون على أنفسهم إذا واجهتهم. فقال بيكا: إنهم يمتلكون أسلحة قاتلة. قال عوكل: يقتلون بها الأغبياء مثلك.

وعندما سمع النسر مخلب من الغراب قيقة حكاية القرد الطائر وهما يأكلان بقايا جاموس برّي، ضحك مخلب أيضًا، وتقلب على حشائش الغابة من شدة الضحك حتى سقط لحم الجاموس البرّيّ من منقاره الحاد، وقال: لقد اصطدت مئات القرود، ولم يجرؤ قرد على مقاومتي، أنا ملك الجو أيها الغراب. والمفترس الأول، هل تنكر ذلك؟ فقال الغراب: لا. ولكن يبدو أن الأمور ستتغير قليلا، وهذا أفضل، فقد مللت روتين الغابة، فقال مخلب: ستتغير فعلا بعد قتل كوكو ليكون عبرة لباقي القرود، فقوانين الغابة لا تغرف الهزل،

فلكل وحش مكانته، فالنسر نسر، والعصفور عصفور، والأسد أسد، والفأر فأر، أليس الأمر كذلك أيها الغراب الحكيم؟ فقال قيقة: بلى، بلى والأيام ستكشف كل شيء.

وعندما أخبر الثعلب بيكا، التمساح سوبك، ملك التماسيح، وهو يستدفئ تحت الشمس على شاطئ النهر، قال سوبك بصوته الأجش: أتهددني أيها الثعلب الخبيث؟ قال بيكا: لا يا سيد المياه. قال سوبك: أنا سيد المياه وسيد الغابة. إنني أمزق الجاموس الوحشي الجبار. قال بيكا: أنا لا أشك في كل ما تقول، ولكن القرد الطائر شيء مختلف. إنه بهلوان، وفي يده سلاح رهيب، ويسير مستقيمًا كالبشر، إنه أعجب ظاهرة في الغابة، فإذا رأيته قادمًا فاهرب إلى المياه، ولا تظهر نفسك حتى لا يمزقك، ويلتهم قلبك. فقال سوبك: ابتعد أيها الخبيث. هل أنت مُكلّفٌ بنشر هذه الأخبار في الغابة؟ فقال بيكا: نعم، فأنا رسول القرد الطائر لأحذر الجميع، فهجم سوبك عليه، ولكن الثعلب كان حذرًا وسريعًا وابتعد قائلا: يا سوبك سيجعلك كوكو عبرة لجميع التماسيح، خاصة وقد أكلت كثيرًا من القرود بلا شفقة أيها المتوحش.

اتجه الثعلب بيكا، أشد أنصار القرد الطائر إلى ملك الغابة الأسد جبل، الذي كان راقدًا في ظل شجرة، وبجواره بقايا حمار وحشيّ، تأكل الأشبال منه، وثلاث لبؤات بالجوار، قال بيكا: مرحبًا يا جبل. فقال جبل: ما

هذه التحية أيها الثعلب؟ فقال بيكا: هذا ما يناسبك تمامًا، فلم تعد سيد الغابة يا جبل، وهذه اللبدة التي حول رقبتك لن تنفعك إلا بين لبؤاتك، فقال جبل: تكلم أيها الخبيث وإلا مزقتك. فقال: لن أتكلم وأنا جائع، قال جبل: أمامك نصف حمار وحشيّ فكُلْ وأسرع.. أكل الثعلب، وأخذ يمسح فمه، وينظف أسنانه.

- ماذا وراءك يا بيكا؟

- هناك سيد جديد للغابة.

- ومن هذا السيد الجديد؟ هل يوجد سيد غيري؟

- نعم إنه القرد الطائر كوكو، فهو يمتلك سلاحًا رهيبًا، ويمشي مستقيمًا كالبشر.

فضحك الأسد جبل، وقال: لقد أضحكتني أيها الثعلب. أنت تستحق ما أكلته من طعام. اذهب وإذا رأيتك هنا مرة أخرى، فسوف تكون آخر مرة ترى فيها الحياة.

❊ ❊ ❊

كان بيكا يشعر بالنشاط بعد وجبته الثمينة، فسار يغني، وقابل في طريقه الضبع بشاعة، فقال له: احذر يا بشاعة، فهناك سيد جديد للغابة، فقال بشاعة: نحن الضباع سادة الغابة أيها الخبيث، ألا تعرف ذلك؟ فقال بيكا: لقد تغيرت الأمور، وأنا أحذرك لمعرفتي القديمة بك، فالقرد الطائر أصبح سيدًا للغابة، فضحك الضبع بشاعة ضحكته البشعة المشهورة، ولم يتمالك نفسه، وتقلّب على الأرض من شدة الضحك – هل يصبح آكل الحشائش سيدًا للغابة؟ إنه ليس الأسرع، ولا الأقوى، كيف يصبح ذلك الفسل ملكا؟ فقال بيكا: إن معه سلاحًا رهيبًا، كما أنه يسير مستقيمًا كالبشر.. فقال بشاعة: أريد أن أستمتع بتمزيقه، وتحطيم عظامه.. أين أجده؟ فقال بيكا: إنه على تلة العشاق قرب النهر، يعيش في الكهف المشهور أعلى التلة، فقال بشاعة: في هذا الكهف قبيلة من الضباع.. إنهم أقاربي. قال بيكا في أسى: لقد قتلهم جميعًا، فصرخ بشاعة: ماذا تقول أيها الخبيث؟ أيّها الجاسوس لذلك الملك المزعوم؟ قل ماذا حدث وإلا مزقتك بأنيابي؟ قال بيكا: أردت أن يخبرك غيري فالأمر لا يحتمل. قال بشاعة: قل ولا تراوغ، قال بيكا: إن الملك الجديد يمتلك أساليب خارقة، تعلمها من البشر.. إنه ساحر، كما يدّعي أنه من نسل بشري، ويمتلك قدرة البشر، وغريزة القرود، فصرخ بشاعة: قل ما حدث بسرعة، فلو أمسكتك لمزقت حنجرتك. قال بيكا: اصبر يا بشاعة، فالحكاية أغرب من الخيال، ولا

بُدّ أن تكون هادئا لتفهم كيف قتل القرد الطائر قطيع الضباع، ولتعرف ما يحدث في الغابة من حياة جديدة أنا شاهد عليها. فقال بشاعة وهو يضغط أنيابه: ها أنا صامت لا أتكلم. ها أنا أقف متمالكًا أعصابي، ها أنا لا أصرخ من الغضب، فقل أيها الثعلب الخبيث.. ماذا فعل ذلك القرد بالضباع؟ قال بيكا: إنه يسعى للسيطرة على الغابة، وأراد أن يحتل كهف الضباع، وتلة العشاق، والفضاء الواسع، والمنطقة المحيطة، والغابة كلها، وبعد أن أصبح زعيمًا للقرود أعدَّ جيشًا منظّمًا ودرّبه تدريبات شاقة، وجميع قرود الغابة تأتمر بأمره، فزفر بشاعة: وما علاقة هذا بقتل الضباع؟.. في الفجر جعل جيشه الخاص يسد مدخل الكهف بالأعشاب الجافة، كما سدّوا الفتحة التي في أعلى الكهف أيضًا، ثم فعل شيئا لم يحدث في تاريخ الغابة.. لقد حك عودًا رفيعًا من الخشب في حجر فاشتعل – رأيت ذلك بعيني – فأشعل مدخل الكهف، وأمسك عودًا مشتعلا وقفز إلى أعلى الكهف وأشعل الفتحة العلوية، فاحترقت الضباع. ومن لم يهرب اختنق، وكان صراخ الضباع يمزق القلوب.. قال بشاعة في حيرة: هل تخترع الحكايات أيها المجنون؟ فقال الثعلب: أقسم بحياة الثعلب الأكبر ملك الثعالب إنّ هذا ما حدث. أقسم بحياة القرد الطائر كوكو، فقال بشاعة: اللعنة على كوكو هذا. هل هذا اسم يخيف أحدًا؟ هل يوجد ملك اسمه كوكو؟ سوف ترى ماذا أفعل بذلك القرد.

فقال بيكا: أنت لست ذكيًا مثله.. هل تنكر أن القرود أذكى الحيوانات؟ وكوكو هو أذكي قرد في تاريخ الغابة، فقال بشاعة: وماذا يفعل له هذا الذكاء مقابل أنيابي الحادة؟ اذهب أيها الثعلب يا خادم القرود، وميعادنا على تلة العشاق، فقال بيكا: سأحرص على ذلك.

❊ ❊ ❊

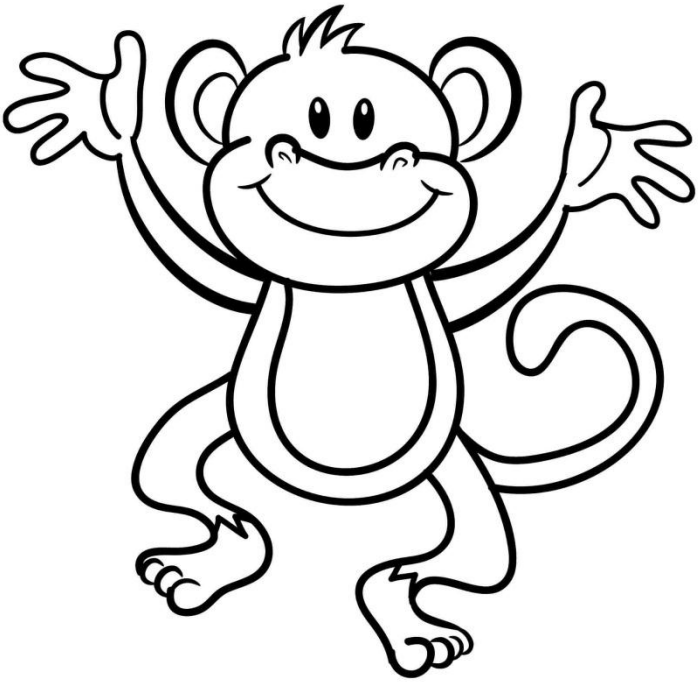

هذا بعض ما حدث في الغابة، فقد انتشر الخبر بسرعة هائلة: القرد كوكو هو زعيم الغابة الجديد، حتى الحيوانات المدجنة والمستأنسة في الحقول بعيدًا عرفت أن للغابة سيدًا جديدًا.

كان أنشط الدعاة للملك كوكو هو الببغاء الرائع الملون إش إش، زعيم الببغاوات، وكان خطيبًا مفوّها.. ولم يكن أحد يستطيع مجادلته، فهو البارع في الكلام والغناء والاستعراض، وقال بصوت واضح في جمع كبير: أنا مع الملك الجديد، وكل الطيور المسالمة معه، لأننا نكره منظر الدماء، فنحن شعراء الغابة.

كما قال:

إن كوكو هو أقرب الحيوانات شبهًا بالبشر، كما أنه هو الأذكى، وهو أفضل من يستخدم يديه في الغابة، وهو المؤهل لإقامة العدل، وهو عاشب أيتها الحيوانات، وليس لاحمًا. فلو ذهب أحدكم يشكو إلى الأسد جبل، سيصبح طعامًا له. لو كان جائعًا.. كما أن كوكو بلا ذيل، وعيناه معبّرتان جدًّا أكثر من أي حيوان في تاريخ الغابة، ولا يمكن لأحد أن يرى عورته إلا زوجاته، وطموحه هو الطموح الأول في تاريخ الغابة، إنه يطمع أن يتزوج إنسيّة.. إن هذا الطموح فقط يؤهله لأن يكون ملكا.. هذا هو ملكنا الجديد، وهذه أحلامه.

يـا قـوم إنّ كوكـو مبعـوث السـماء إلـى الغابـة، إنـه المبعوث الأول فالتفوا حوله، وساندوه.

كـان كـلام إش إش مـؤثرا، فهاجـت الغابـة استحسـانا، فأشـار إش إش بجناحـه السـاحر، وقـال: سـأغني أغنيـة ألّفتهـا للملـك الجديـد. احفظوهـا، وبـدأ يغنـي بصـوته العذب:

أيّهـــا القـــرد الجميـــل أيهـــا القـــرد الملـــك
أنـــت للحـــب الـــدليل كـــل ســـحر هـــو لـــك
أنـت يـا كـوكو الأصـيل إنّ ربّـــي جمّـــلك

أنـت فـي الغـاب القـوي أنت في الغاب الرئيس
أنـــت عقـــلٌ عبقـــري أيهـــا القـــرد النفـــيس
عشـــت منصـــورًا لكـــي تردع الشر الخسيس

أنـت يـا كوكـو الحبيـب قولـك القـول الفصـيح
أنـت نـورٌ فـي القلـوب ودواء للجـــــــــريح
لم نعد نخشى الخطوب أو عـــدوًّا يستبيـــح

هاجت الطيور والحيوانات من الطرب، وأخذوا يغنون مع إش إش ليحفظوا الأغنية، وفي حركة مباغتة هجم المفترسون: من السماء النسور، والصقور، وعلى الأرض الأسود، والنمور، والفهود، والذئاب، والضباع بالمئات في حلقة محكمة، وارتكبوا مذبحة مروعة، ونجا إش إش بمعجزة، وصرخ قبل أن يفرّ: أيتها الحيوانات والطيور اهربوا إلى تلة العشاق، فسوف يحميكم كوكو ملك الغابة، أكثر من نصف الحيوانات تمّ ذبحها بلا رحمة، وفر من استطاع الفرار سليمًا أو مجروحًا، بينما ظل المفترسون ثلاثة أيام يأكلون ضحاياهم حتى أصابتهم التخمة، واستعدوا للهجوم على تلة العشاق بقيادة الأسد الجبل، لتأديب القرد كوكو، وقال جبل: سأستمتع بلحمه، ولحم كل من حوله.

لم يكن كوكو نائمًا طوال السنوات الماضية، وأثبت أنه جدير بأحلامه، فقد أثمرت فترة تدريبه مهارة غير عادية، وهو لم يثبت قدرته بعد أمام جبل، ملك الغابة، رغم أنه أحرق أحد عشر ضبعًا، وترك أثرا هائلا في مجتمع الغابة.

إنه قادر على المواجهة بسيفه الرهيب، ولكنه استعان بالخديعة، فقد جند مئات من الحيوانات الحفارة، فظلت تحفر شهورًا بشكل منظم كما حدد لها كوكو، حفرت خندقا عميقًا تحت الأرض، وتركت قشرة رقيقة من التربة الخادعة، وعيّن كوكو حراسات من القرود على

الخنادق حتى لا يسقط فيها أحد من أتباعه خصوصًا الأفيال.. ولا يعرف أحد كيف اكتسب تلك الكائنات المهيبة في صفه.

في اليوم الرابع من المذبحة قاد جبل باقي المفترسين للقضاء على النظام الجديد الذي يتشكل، ولكن خطة كوكو كانت محكمة.

أكبر حرب في تاريخ الغابات.. مئات من الوحوش القاتلة المنظمة، سارت في دائرة كبيرة لتحيط تلة العشاق حيث يعيش كوكو وأتباعه وفي السماء النسور والصقور.

حاصرت الوحوش الحيوانات أمامها، واتجه الجميع إلى أرض المعركة، فاستقبلت القرود الحيوانات الهاربة وأدخلتها إلى الأمان على جانبي التلة.

رأت النسور حمارين ممزقين في قلب ميدان المعركة، فانقضت عليهما وتبعتهما الصقور، فوقعوا في الفخ الذي أعده كوكو القائد الشجاع، ففي لحظة الهبوط شد أربعة قرود حبلين طويلين فأمسكت الشبكة القديمة بجميع النسور والصقور، فأخذت تصرخ وتضرب أجنحتها في الأرض تحاول الطيران، فتتخبط أكثر حتى فاجأتها فرقة من القرود مسلحة بهراوات، وانهالت على رءوسها فحطمتها. كان منظرا مرعبًا، وأخذ

النسر مخلب يصرخ، أيها الزعيم، إنني أبايعك ملِكًا للغابة، ولكن ضربة قضت عليه.

هللت القرود فوق الأشجار، وقاد إش إش جمهور المشجعين.

أيها القرد الجميل أيها القرد الملك

عندما اقتربت الوحوش من أرض المعركة الخالية من الأشجار، فاجأتها ألوف القرود بقذائف من الأحجار الكبيرة من فوق الأشجار، كانت قد أعدتها سابقا – حسب خطة كوكو – فأوقعت خسائر كبيرة في الوحوش، لدقّة التصويب، حتى إنّ التمساح سوبك أصابه حجر كبير على رأسه، فسار يترنح ويسب القرود ويتوعّدها.. سقطت عشرات الوحوش صرعى من الأحجار الرهيبة، وأسرع من لم يُصَب إلى أرض المعركة، فوجدوا الأرض تميد بهم، فسقطوا في الخنادق، ولم يستطيعوا الخروج لأنها عمودية، ومن نجا تقدم إلى قرب التلة، فوجدوا مذبحة النسور والصقور، فتملكهم الرعب، خاصة عندما وجدوا القرد كوكو يقف أعلى تلة العشاق أمام الكهف الذي يليق بملك، يقف منتصبًا، وشعر جسمه نظيف وممشط، وفي وسط جسمه حزام يتدلى منه السلاح الذي سمعوا عنه، ويستند على العصا الخشبية، ويبتسم ابتسامة غامضة، وخلفه الفتاة البشرية ذات الشعر الطويل، والتي ربّتها الثعالب. إنهم يعرفونها، إنها البشرية المتوحشة.

قال كوكو: مرحبًا يا جبل. هل تمتلك الشجاعة لتأتي إلى هنا؟ وأنت يا بشاعة أيها الحقير الخسيس.. زأر الأسد غاضبًا: أنا الملك جبل أيها القرد، وقفز بشاعة إلى أعلى التلة، وهجم على كوكو، فعاجله كوكو بضربة واحدة على رأسه، فحطمه بهراوته الخشبية، فانزوت الضباع رعبًا. أخذ جبل يزأر مهددًا، ومظهرا أنيابه، فارتعبت جميع الحيوانات، ولكن كوكو كان يبتسم كعادته، صعد الملك جبل الربوة بقفزات سريعة، وقفز على كوكو، فشهقت الحيوانات، ولكن كوكو كان قد نزع السيف اللامع، وانزلق تحت الأسد جبل، وشق بطنه بضربة واحدة، فوقع جبل وقد خرجت أحشاؤه، وتدلت، وهو ينظر إلى نفسه غير مصدق.. وحاول الهجوم مرة أخرى، فعاجله كوكو بضربة من العصا على رأسه، فسقط الملك القديم، فوقف كوكو في رشاقة مستندًا بإحدى قدميه على جثة الأسد، ورفع عصاه صارخا صرخة النصر، فعلا الصراخ من شدة الفرح، وهدرت الغابة، والتفت الحمير الوحشية حول الضباع، والذئاب وضيقت عليها الحصار، ثم استدارت فجأة وضربت الوحوش بالأرجل الخلفية ضربة واحدة، فطارت الوحوش، وسقطت تئن محطمة الضلوع، وهجم الجاموس الوحشي بقرونه المرعبة وأخذ يفعص الوحوش في حفل انتقام تاريخي.

رفع كوكو يده وقال:

لا تقتلوا جميع الوحوش، اتركوا بعضها ليحكي ما حدث لسكان الغابة.

ومن شهد هذه المعركة هنّأ نفسه لأنه شاهد أعظم ثورة في تاريخ الغابات.

٢٠٠٩/٦/١٢

* * *

صلاة من أجل الحصان

الكلب روح هو أول من شاهد الحادثة التي لم تكن تنبئ عن شيء في بدايتها.. إنه أمر عادي.. حصان وقف فجأة، وهو يجر العربة الكارو.. كان أي كلب عادي سيمضي إلى حاله، ولن يلتفت إلى هذا الأمر، فلا جديد فيه، ولكن روح كان استثنائِيًّا في عالم الكلاب.. إنه يمتلك حاسة سادسة، وقوة الشم عنده متطورة جدًا، فهو يستطيع أن يتتبع خيطا رفيعًا متقطعا من رائحة مراوغة لدجاجة ميتة على بعد أميال، وسط الروائح القوية للقاذورات على جانبي طريق جسر النيل، حيث يلقي البشر قمامتهم، وحيواناتهم الميتة.. وكان روح في طريقه ليستكشف رائحة غامضة، عندما رأى ما حدث.

نسي روح الرائحة مؤقتا، واتخذ موقعًا يراقب منه هذا الأمر، ليرى ما يسفر عنه.. عندما وقف الحصان قليلا سبّه صاحبه، وضربه بالعصا، فمشى ثلاث خطوات ثم وقع على الأرض، وهذا أمر عادي أيضًا، فكم رأى حصانا يجر عربة يقع ثم يقوم مسرعا، أو بمساعدة البشر، ولكن الحصان لم يقم، فانهال عليه صاحبه ضربًا، ولكنه لم يقم، التمّ بعض البشر وحاولوا المساعدة، ورغم أن روح لم يسمع لغة البشر جيدًا، فقد فهم كل شيء: الحصان في خطر، وقد يموت – وهذا أمر استثنائي تمامًا، فهذه المنطقة لا تعرف إلا الحمير التي تموت من الشيخوخة كل عدة أشهر.

مرّ الكلب عيطة، ولم يلاحظ شيئا، ولكنه شم رائحة روح، فوقف قليلا، ثم قال لنفسه: إن روح مجنون فلا يوجد شيء هنا، ومضى. ابتسم روح وقال: هذا أفضل. لكن عيطة عاد.

مرحبًا يا روح.

- أهلا يا عيطة.

- لم تقف هنا؟

- لا شيء إنني أستريح.

- هل يوجد شيء خطير هنا؟

- لا يا عيطة.. أنت الوحش الخطير في المنطقة.. ضحك عيطة ونبح سعيدًا:

أنت دائمًا تجاملني يا روح، ولكني أعرف حدودي، فأنت الأشد خطرًا والأعقل، وركس بعدك، وأنا أرتضي بالمركز الثالث في الخطورة..

- أنت متواضع يا عيطة، ولا تعرف قدراتك.

- شكرا أيها الزعيم. هل تريد شيئا؟
- نعم. قل لركس: روح يريدك.

❋ ❋ ❋

فك السائق عريش العربة، وركنها في جانب الطريق بجوار الحصان الذي رقد على جانبه، وسيقانه ممدودة في الطريق، والسيارات السريعة تتفاداها..

اتصل الرجل من تليفونه المحمول، وجلس في ظل العربة يدخّن السجائر، وبعد ساعة حضرت عربة أخرى مربوط فيها حمار من الخلف، وأخذ الرجل الآخر يتحسس الحصان، ويفتح عينيه، ثم قال: إنه سيموت، ومضى الرجلان بالعربتين وتركاه في جانب الطريق.

ما أغرب سلوك البشر – هكذا كان يفكر روح – لقد ترك الرجل حصانه الذي خدمه سنوات، وجرّ العربة المحملة بالخضروات والفواكه ألوف الأميال في شوارع المدينة والقرى المجاورة، تركه يصارع الموت وحيدًا.

اقترب روح من الحصان.. كانت أنفاسه غير محسوسة، ولكنه عندما رأى روح، فتح عينيه قليلا، وهم بالنهوض، ولكنه لم يستطع.. وارتعش منخاراه. إنه لم يمُت بعد – هكذا قال روح لنفسه – وعرف أن أمامه لذة هائلة، فلاشك أن لحم هذا الحصان لذيذ لذيذ.

قبل الغروب مر روح ووضع بوله في دائرة واسعة حول الحصان، وأمّن المنطقة.. جميع الكلاب تعرف روح.. إنه عنيف جدًا، ومسالم إلى أقصى حد، وليست له عداوات مع البشر خصوصًا الأطفال، وله حواريّون

كثيرون.. هو زعيم بشكل ما، زعيم روحي، والكلاب هي التي أطلقت عليه اسم روح، عندما اكتشفت قدراته الخارقة.. ركز روح في بوله رسالة تحذيرية واضحة لأي كلب: هذا الحصان تحت رعايتي، وحتى لو جاء أسد أو ضبع، فلن يمر إلى الحصان بدون إذن مني، كما أكّد الإشاعة التي تحكى عنه: أنا روح الذي تزوّج الذئبة نواعم في أحراش البوص على شاطئ النيل.

في الليل حضر ركس صديق روح، وعندما شم البول فهم كل شيء. وحكى له روح ما حدث.. الحصان لم يمت بعد، ربما أمامه يومان، لا أحد يعلم إلا الله.. كان ركس منفعلا، فلم يتذوق لحم حصان من قبل، فقال لروح: إنّ الحياة رائعة يا صديقي، وتستحق أن تعاش ما دام فيها هذا الحصان الرائع، فقال روح: نعم، ولكن الوضع خطر، فسوف تعرف الكلاب، وستجد كل ضال هنا غدًا، وكلما طالت حياة الحصان كثرت الكلاب، ولا تنس عصابة تيتو.. قال ركس: لو أتى أحدهم سأمزقه قبل الحصان، خصوصًا تيتو كلب البيوت السابق.

في الصباح مر بشريان، وقلبا الحصان، لإفساح الطريق.. تحت شمس الربيع الدافئة. كانت الحياة تسير، والحصان يموت ببطء، ويتنفس الأنفاس الأخيرة في الحياة.. لساعات متواصلة والشمس تحدق في عيني الحصان نصف المغمضتين حتى أفسدتهما.. اقترب روح وركس: إنه لم يمت بعد، ولا يوجد في

الشريعة – كما أعرفها – الاعتداء على حصان حي، سننتظر، ربما يموت الليلة. هكذا قال ركس.

عند المساء والشمس تميل إلى الغروب.. تجمعت سبعة كلاب من أتباع روح وأصدقائه، من كلاب الشوارع الحقيقيين، يعرفون المنطقة شبرًا شبرًا، وكل الطرق والجسور والترع والحقول، وهم لا يكفّون عن السخرية من كلاب البيوت. إنها متعتهم المفضلة، فإذا قابل أحدهم كلبًا بيتيًا، يقول له: مرحبًا أيها المرفّه.. ماذا أكلت اليوم؟ هل كنت مطية للأولاد اليوم مثل الحمار؟ هل حقا أنك تصادق القطط؟ ثم ينبح في وجهه مكشرا عن أنيابه ليرعبه، وعندما يهرب كلب البيوت يضحك كلب الشوارع والجسور، ويتقلب على الأرض من شدة الضحك.

قال عيطة المتوحش الجاهل: أيها الزعيم روح: لماذا لا نهجم عليه ونأكله؟ أنا جائع. فنظر له روح نظرة قاسية: ماذا تظن يا عيطة؟ هل هو قطة؟ هل هو فأر؟ إنه حصان، حصان. أجمل الحيوانات، وأكثرها روعة، بل إن لحمه ألذّ من لحم الخروف. هل أكل أحدكم خروفا قبل ذلك؟ أنا فعلت ذلك مع الذئبة نواعم زوجتي السابقة.

قال عيطه: كلامك جيد أيها الزعيم، ولكن ماذا نفعل؟ قال روح: اصطفّوا خلفي، وارقدوا ومدّدوا أياديكم

الأماميـة أمـامكم، سنصـلي مـن أجـل الحصـان، ليمـوت سريعًا، ولا يتعذب أكثر من ذلك.

قولـوا خلفـي: إلهنـا العظيم. يـا إلـه الجميـع. يـا مـن لـم تحرمنـا من الطعام، وتـوفر لنـا حمـارًا شـهيًا كل فتـرة، نصلي إليك لتنهي حياة الحصان بسرعة.. ارحم أولادك وهبنا لحمه اللذيذ، واجعلـه قوة فـي أجسـامنا، فلا تطل حياته كثيرا، ولا تجعلنا ننتظر أكثر من ذلك يارب، فقال عيطة بصوت ضارع: نعم يا رب.

❊ ❊ ❊

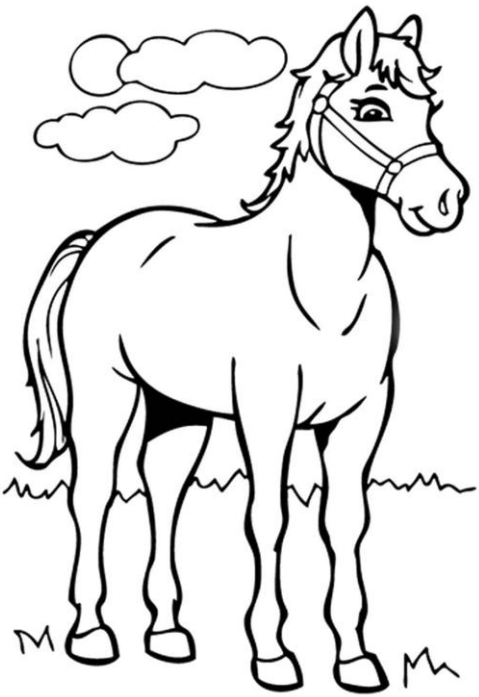

في حديث عابر

تقابل الحماران، وكل منهما يحمل صاحبه، أو تقابل الفلاحان وكل منهما يركب حماره. الحقيقة أنّ أحدهما يركب حمارته، وهذا للدقة والأمانة.

حيّا كل منهما الآخر، الفلاح والفلاح، والحمار والحمارة. انشغل الفلاحان بالحديث عن أمورهما، بينما أخذ الحمار يأكل بعض الحشائش على شاطئ المسقى، وكذلك الحمارة، وتحدثا حديثا طويلا رغم أنهما وقفا دقائق فقط.

وسوف أحاول أن أوجزه هنا، فلا يمكن أن أحكي كل ما قيل، ولا يظن أحد أن الحمير تتكلم عن طريق النهيق، فهذا خطأ فادح، وجهل بلغة الحمير، فالنهيق ليس لغة معتمدة، إنه يخص الذكور فقط، وهو مزعج دائمًا، ويكون لإثبات الذات أمام حمارة جميلة، أو للتعبير عن الرغبة في وقت التزاوج. والحقيقة المجردة أنه لا يمكن صد حمار ينهق. النهيق إذن صوت وليس لغة.

لغة الحمير لغة هامسة، وهي من أجمل لغات العالم، وأكثرها رقة وهمسًا، كما تعبّر الحمير عن طريق حركات الشفاه، والعيون الواسعة، وحركات الرأس، والأذن، والسيقان، بل طريقة الوقوف لغة موحية إلى أقصى حد لمن يفهمها.

قال الحمار الملقب بالحافر الذهبي للحمارة غزالة الملقبة بالرشيقة: مرحبًا أيتها الجميلة، فقالت: أهلا أيها الذهبى كيف حالك؟

- أنا على خير ما يرام، فصاحبي خبيث جدًا، ولكنه يترك لي حرية كبيرة، وأنا قليل الشغل، فهو يعاملني كفرس، وأنا لا أكره الشغل، ولكن حالي الآن يناسبني، ولا أشكو من شيء.

- إن رائحة صاحبك ليست منفرة، ولكنها خبيثة جدًا

- أوه.. نعم. إنه حقير ومخادع، ولا يصلي إلا من أجل أن يراه الناس يصلي، ويتكلم طوال الوقت عن الفاحشات أمثاله.. وأنا لا أفهم هؤلاء البشر.. فهم في حالة هياج جنسي مستمر، وهم ينافسون الحمير في موسم التزاوج..

قالت: نعم خصوصًا أنت، فأنت حمار حقيقي تتمناك أية حمارة في المنطقة.

قال الحافر الذهبي: إنها فترة قصيرة، وبعد ذلك نعيش حياة هادئة، أما هؤلاء البشر فهم وحوش منطلقة، وخطرون على الحياة، فصاحبي مثلا لا يتورّع عن ممارسة الرذيلة مع زوجة جاره، مع أنّ قانونهم يمنع ذلك.

قالت غزالة: لا تذكّرني أيها الذهبي فصاحبي طيب جدًا، إنه أطيب ما رأيت، وهو هادئ وصبور، ولكنه فقير رغم أنه لا يكل عن العمل، أما زوجته فهي شريرة جدًا، وتعمل أي شيء من أجل المال، وتخونه مع من هم أقل منه شأنا، وأشمّ دائمًا رائحة خيانتها. وأتمنى أن أرفسها بين فخذيها، فصاحبي لا يستحق منها ما تفعله.

ضحك الحافر الذهبي قائلا: لو فعلت ذلك سيكون حدثا هائلا يرج حمير مصر كلها، وسيكون أطرف شيء في عالم الحمير منذ سنوات، ولكن لا تفعلي؛ لأنّ تلك الزوجة الخبيثة يمكن أن تضع لك سُمًّا في الطعام.

قالت غزالة: نعم إنها ذئبة، ويمكن أن تفعل ذلك.

قال الذهبي: والآن سلام أيتها الرشيقة.

قالت : سلام أيها الذهبي، ولا تنسني في موسم التزاوج.

قال: نعم نعم.. أنت في القلب دائمًا.

❊ ❊ ❊

العاشق

الجرّار الزراعي شبل قوي جدّا. إنه أسطورة في القوة بين آلات المنطقة، من سيارات وموتوسيكلات، وتُك تك، وعربات نقل، وربع ونصف نقل.. الكل يعرف أنّ قوته هائلة، ولكنه بطيء.. وعندما تلومه الدراجة ريشة وهي تسابقه يقول لها: إنّ السرعة من الشيطان، وأنا لست في حاجة إليها.. عملي لا يحتاج إليها، أيتها الجميلة ريشة، بل يحتاج القوة.. أنا صاحب الأعمال الشاقة، من حرث وتزحيف، وجر المقطورات الثقيلة، وأنا يا ريشة أقل الآلات في نسبة الحوادث والكل يشهد بذلك أيتها الجميلة.

الجرّار شبل مريض منذ يومين؛ لأنه عاشق جدًا، ومغرم إلى أقصى حد. إنّ موتوره القوي لا يريد العمل، وخرطوم البنزين يحتاج إلى تنظيف، وكشافاه يضيئان أحيانا بلا هدف، ودائرته الكهربائية بها خلل ما، وبطاريته نائمة.

تضايق صاحبه عوف، وأخذ يرجوه: وراءنا عمل كثير اليوم يا شبل، والنبي تشتغل، عشان خاطري.. احتار عوف لأنه لا يعرف أنّ شبل عاشق، يعشق السيارة المثيرة الفاتنة فولكس فاجن.. يعشقها بكل سلك فيه، بكل صامولة، بكل قطرة زيت، أو سولار، من غطاء الموتور إلى أسفل الكاوتش، وهو يرتعش من العشق إذا سمع صوتها المميز والأرقّ في عالم الآلات على وجه الأرض، صوتها موسيقى معدنية ساحرة، إنها توحة التي تملأ موتوره قوة، وعجلاته قدرة، هي التي

تجعل البنزين يتدفق في جسمه بالطاقة والحيوية، وبدونها هو ميت، ولكن توحة تتدلل عليه برشاقتها وانسيابيتها، وتصميمها الخرافي الذي حدث في عالم الآلات مرة واحدة.

❊ ❊ ❊

انشق قلب شبل عندما قالت له توحة: إنت فلاح غليظ، وأنا بنت أصول. إنها تتجاهله تمامًا، وعندما يصهل بآلة التنبيه لا ترد عليه بآلتها الموسيقية. ماذا يفعل مع هذه الغادة الزرقاء، تلك الألماسة الحقيقية.. ولكنه مهم أيضًا، ويعترف الجميع بفضله، وحكمته.. إن المرسيدس شخصيًا اعترفت بقوته.

لا معنى للعمل بدون توحة. هذا ما قرره شبل. فلم يعد يستطيع أن يراها تضحك للعربة الجيب.. هذا ما فكر فيه شبل، ثم عطس من شكمانه عطسة أزعجت المنطقة، ثم سكت وهمس لنفسه: لا معنى للحياة بدون توحة، ولكنها تتجاهلني تمامًا.

لم يعرف عوف أبدًا مشكلة شبل، ولم يلاحظ أنه كان ينشط جدًا عندما يرى توحة، لذلك شرب كوبًا من الشاي، وذهب إلى الميكانيكي الذي يفهم في قلوب الآلات، فهو طبيب نفسي حقيقي، ويمكن أن يعالج شبل – ربما – فعشق الآلات قوي جدًا، أقوى من عشق البشر بألف مرة.

❊ ❊ ❊

كلمة الحبر الأعظم الأخيرة

استعد الجميع لاستقبال الحَبر الأعظم للفئران، والذي يعيش على ارتفاع ألف خطوة بمقياس الفئران في سفح الجبل.. لقد تواضع وهبط ليبارك رعاياه في المنطقة التي يعدها المسالمون من أخطر المناطق على سطح الأرض، فالقط باسو القذر يتجول فيها دائمًا وكأن المفترسين في العالم اجتمعوا هنا، الصقور، والبوم، والنسور.. هذا أمر يجعل الحياة شبه مستحيلة، إن لم تكن حذرا في كل ثانية، وأنت خارج الجحر، بل إن الأفعى الرهيبة توحيدة يمكن أن تهاجمك داخل الجحر.. لماذا الحياة خطيرة إلى هذا الحد.

الحبر الأعظم هو الأمل الوحيد للإنقاذ، فهو الحبر الأعظم، وله علاقة قوية مع الله، ويستطيع أن يجد لنا حلا.. ربما يكتب لنا تعويذة سحرية تبعد عنا القطط والأفاعي، وتجعل الصقور ترانا قِطعًا صغيرة من الصخور. إن الحياة صارت جحيمًا، ولا نستطيع أن نترك هذا المكان، فهو الوحيد الذي نعرفه، ويمكن أن تكون الأماكن الأخرى أشد خطرا.

❊ ❊ ❊

تم تنظيف شبكة الجحر السرية، وإعداد أهم حجرة في المملكة لتكون استراحة للحبر الأعظم وخادمه، والحجرة المجاورة لهيئة مكتبه ومستشاريه.. كان الأمل يغمر أبعد مكان في شبكة الجحر، ويمكنك كفأر

أن ترى الأمل وتشمه.. إنه مضيء، وعطره نافذ.. لا خوف بعد الآن.. فالحبر الأعظم سيحمينا.. آه.. إن ذكر اسمه فقط يملأ القلوب نشوة..

كل شيء على أكمل وجه لاستقبال أعظم فأر في عالم الفئران في جميع العصور.. هو القوة الأسطورية ضد الأخطار.. حضر الفأر المعظم في موكب حافل، وتم الترحيب به على أكمل ما يكون.. كان شعره ممشطا، ورائحته ساحرة، ويمشي مشية فاخرة، إنه أكثر الفئران مهابة.. بل أكثر مهابة من القط باسو.

خطب الحبر الأعظم خطبة تاريخية، حفظتها الفئران حرفا حرفا، حتى أن الفئران لم تشعر أنها في خطر، بل ظنت أنها هي الخطر الحقيقي في المنطقة، ولولا الملامة لتركت الحبر الأعظم، وخرجت بحثا عن القط باسو لتمزقه، وتجعل فراءه فرشة للصغار، أو الأفعى توحيدة لتقطع رأسها، وتترك جسمها للصغار يلعبون به، فقد نفخ الحبر الأعظم من روحه الجبارة في مملكة الفئران، خاصة عندما قال، وهو يرفع يده اليمنى: لو اجتمعنا، أيتها الفئران، أيتها القوارض، - انتبهوا جيدًا – لو اجتمعنا نستطيع أن نقتل أسدًا..

صرخت الفئران من النشوة، وخرج شباب الفئران أمام الجحر لجرّ شَكَل باسو، أو أي مفترس يمر، بسبب الكلمات الساحرة للحبر الأعظم..

وقال: قد تكون هذه آخر مرة أراكم فيها، لأن أعمالي كثيرة، وجدولي مشغول جدًا مع ثوار الفئران في أنحاء الجبل، كما أنني مستشار لجميع العاشبين في المنطقة، من الجاموس الوحشي، إلى الغزلان والسناجب، لذلك أيها الأبناء، أيها الطيبون المؤمنون، يا أبناء الرب، انقلوا كلامي إلى جميع الفئران، لنسيطر على الجبل.. ثقوا في أنفسكم ثقة مطلقة، ولا يرتعب أي فأر من الآن أمام باسو القذر، أو توحيدة الخبيثة، فلكل منكم أسنان تقضم الصخر، وباسو ليس أقوى من الصخر.. أيتها القوارض.. المجد للفئران في الحياة.. دوي تصفيق هائل ارتج له الجحر.

نزل الحبر الأعظم برشاقة من مكانه المرتفع، وقال: اعذروني أيتها القوارض يا أبناء الله.. وداعًا، فعندي اجتماع عاجل لحل مشاكل السناجب.. وخرج محاطًا بعظماء الفئران والحراس الشخصيين، وأمام الجحر، وفي لمح البصر، انقض الصقر حورس واختطفه من وسط الجميع، وهرسه بين مخلبه الرهيب والحبر يصرخ بآخر كلمة مقدسة: تشجّعوا.

عمّ الذعر تمامًا؛ لأن باسو انقض ومعه قط جديد، وأمسكا زعيم الفئران ونائبه، وكانت توحيدة مختفية في الأحراش، فانقضت على أكبر رجل دين بالمملكة، الراهب شيكا.. إنها مذبحة.

فرت الفئران إلى الجحور، وبدأ حفل رثاء لشمسهم التي انطفأت أمامهم، وبدأ شعراء الفئران يكتبون قصائد حارة في رثاء الحبر الأعظم، شهيد الواجب والحق والقوة، ونشطت الاجتماعات في زوايا الجحر وفروعه المتعددة لمراجعة، وحفظ، ودراسة تعاليم الحبر الأعظم الأخيرة.

وساعة بعد ساعة سرت شائعة تقول: إن الحبر الأعظم سيعود – سيعود، سيقتل الصقر، وسيقتل كل أبنائه، وسوف يعود، فلا أحد يهزم الحبر الأعظم، ولا حتى أسد؛ لأن الحبر الأعظم خالد.

❊ ❊ ❊

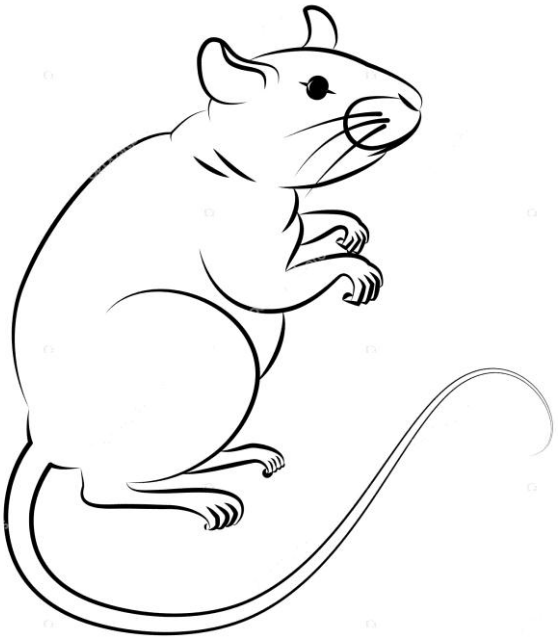

مأساة صوفي

كرهت صوفي الحياة، صوفي الثلاجة الشابة البيضاء النقية المنظمة والمحبة لعملها، ماركة إلكتروستار.. أصابتها كآبة حادة من المعاملة العنيفة التي تعاملها بها المرأة العجوز مما أصاب هيكلها الناعم بالتلف.. ضربتها البارومة، ذلك السرطان الخبيث الذي تسلل كاللص تحت جلدها اللامع، بعد سنوات من سوء المعاملة، حتى وقعت المفاجأة السيئة.. استسلمت صوفي للمرض، ولم تعد قادرة على المقاومة، وسقط بابها في ساعة نحس.. وهكذا توقف موتورها، ولم تعد قادرة على الحياة، وأخذت تتنفس بصعوبة.

صوفي تعرف قدرها، وتعشق العمل، وتتبع نظامًا دقيقا في عملها، وتحتاج إلى الرقة والتفهّم في معاملتها، ولكن المرأة العجوز، جعلتها تصرخ من الغضب: لو كنت فولاذا ما احتملت ذلك، لو كنت من التيتانيوم لتمزقت.. أنا لا يستغنى أحد عني، فلِمَ هذه المعاملة؟ أنا عماد الحياة المعاصرة، وحافظة الطعام.. أنا يا عالم الموفرة، أطلب بعض الاحترام.. ولكن العجوز شبه صماء، ولا تسمع كلام صوفي التي كانت ترتعب عندما تمر العجوز بجوارها، ويزداد رعبها حين تفتحها، لأنها تصفق الباب بعنف وهو مملوء بزجاجات المياه الثقيلة، وأكثر من ذلك، فهي تضع البطيخ مثلا، ثم تضغط بابها لتغلقه بالقوة.. وصوفي تصرخ وتصرخ: إن هذا لا يرضي الشيطان ذاته، لماذا تضعين الخضروات وهي قذرة بداخلي.

تتألم صوفي لا من أجل نفسها فقط، بل تتألم من أجل الحنفية حياة التي تجعلها العجوز تهدر أطنانا من المياه بلا فائدة، ومن أجل الباب المهيب التراثي ديدبان الذي تغلقه العجوز بعنف، فيئن ألمًا، ويهز البيت؛ لأنّ قوته من الطراز القديم بارتفاع ثلاثة أمتار تقريبًا، وخشبه سميك، ومع ذلك لا يحتمل المعاملة القاتلة.. وتألمت صوفي أيضا لإساءة معاملة الشعلة دقرمة؛ لأن العجوز تفتح الغاز ثم تبحث عن الكبريت.. تصرخ صوفي: أنت ماهرة جدًا أيتها العجوز في الشر، ولا تحسنين في الحياة إلا إيذاء البشر، والكائنات الأخرى.. كما تتألم صوفي من أجل صاحبها الذي لا يستطيع الاستغناء عنها كما تقول. العجوز ستقتلني.. لقد ضربتني البارومة التي كنت أسمع عنها وأنا في معرض البيع من الزبائن، ولم أكن أهتم وقتها فقد كنت جديدة سليمة لا أعرف المرض، وها هو ضربني ضربة شلّتني بها.

شهر وأكثر وصاحبي لا يعرف ما يفعل، وكأنه محاصر في الصحراء، حتى دلّه صديق على من يستطيع إنقاذي، بل أتى به إلى البيت، وتم إجراء جراحة كبيرة لي، وكانت النتيجة رائعة، لأنني عدت للعمل.. قصّ الجراح مناطق المرض، وثبت مكانها صاجا قويًا عن طريق البرشمة، وأصبح صديقا لصاحبي، يطلب منه بإلحاح أن يجد له زوجة.

موتـوري جيـد، وحـالي الآن لا بـأس بهـا، رغـم أن العجوز كسرت حليتي الرائعة، وأفسدت باب الفريزر، وها أنا أرتعب كلما مرت بجانبي، ويزداد رعبي حين تفتح بابي.

❊ ❊ ❊

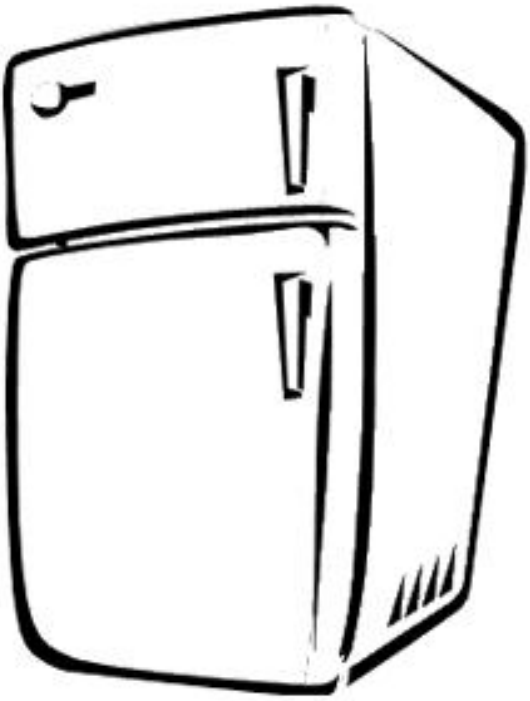

تحدٍّ

بعد القيلولة، وقف الكبش الشاب ضرغام ذو القرنين الخطيرين الجميلين في عيون النعاج.. مأمأ قائلا: أنا أتحداك أيها الحائط القوي، وكان يكلم الحائط الذي يستريح القطيع في ظله بجوار شجرة التوت الوارفة. انظروا.. إن الحائط لا يرد، لأنه يخاف من قرني.. إنه لا يرد، وهذا خير له.. إنني أتحداك يا جذع شجرة التوت القوي.. ها هو الجذع لا يرد أيضًا.. إنه يحترم نفسه في مواجهتي.. لو يوجد ذئب هنا فليواجهني. هل يوجد شجاع هنا غيري أيها القطيع؟.. لم ترد النعاج احترامًا للغول، الزعيم الحالي المحترم من الجميع من أصغر نعجة إلى الراعي النائم بالجوار، حتى القطعان الأخرى ترسل نعاجها ليتزوجها الغول.

أخذ ضرغام يضرب حوافره بالأرض ويحاول دفع الحائط ليؤكد قوته. هل هنا قوي غيري؟.. قام الغول الذي كان يراقب ضرغام منذ أسابيع، وينتظر هذه اللحظة، فقال: إنني أسمع صوت فأر.. ارقد أيها الفأر، فقد أقلقت نومي، رد ضرغام بحدة: أنت الفأر أيها الغول، وأنت لا تملك من القوة إلا اسمك، الذي لم يعد يخيف صرصورًا. قال الغول: هل أكلت شيئا سامًا أيها الشاب؟ رد ضرغام بعنف: انزل إلى أرض المعركة حتى تتكلم القرون، فكلامها صادق.

قال الغول: إذن استعد واتبع القوانين.. ارجع عشر خطوات، واندفع بكل قوتك، لتواجه الجحيم أيها الساذج، وليشهد القطيع.

تراجع الكبشان، واندفعا بكل قوتهما، واصطدمت الرأسان اصطدامًا مروّعًا طارت منه العصافير التي كانت تستريح على شجرة التوت وعلى الأشجار المحيطة، حتى أن العصفور صاصوه شتمهما لأنهما أزعجاه، فظن أن طفلا يصطاد ببندقية في المنطقة.. انتبه الراعى هندي مفزوعًا من صوت الصدمة، وفهم ما حدث فورا.. كان ضرغام يرقد على جانبه ورأسه مشجوج، وقرنه اليمين مكسور، والآخر مشروخ.

إنها خسارة كبيرة.. أخرج هندي مطواته اللامعة، وقال: حلال الله أكبر، وذبح ضرغام. فقال صاصوه: أستطيع الآن أن أنام قليلا.

❊ ❊ ❊

صلاة الرمال

طال الصيف أكثر مما يجب، هكذا قالت حبة رمل لحبة رمل بجوارها، وواصلت كلامها: كأن الشمس ملايين الشموس. إنها تحرقنا بلا رحمة. لم أعد أحتمل.. وكأنّ حبة الرمل عندما قالت ما قالت عبرت عن الصحراء كلها، فهتفت مليارات المليارات من حبوب الرمال: نعم أيتها الحبة الحكيمة.. لم نعد نحتمل.. إننا نحلم بالأمطار.. وقال الصخر: إن الجبال الصخرية تتألم في صمت، إنها ظامئة لقطرات المطر تغسلها وترطبها.. إننا نحتاج شلالا هادرًا.. هكذا رفعت الجبال صوتها وقالت: يا حبة الرمل، أيتها الحبة الحكيمة التي تكلمت باسم الصحراء والجبال، باسم الظامئين المعذبين، قولي لنا ماذا نفعل؟ ألا يوجد حل؟

قالت حبة الرمل: بلى. أعتقد أنه يوجد حل أكيد، فقالوا جميعًا: ما هو؟. قالت: على كل حبة رمل أن تخبر الحبة التي بجوارها، والتي فوقها والتي تحتها، حتى تعرف جميع الرمال إلى نهاية الصحراء، وعلى كل صخرة أن تخبر جارتها حتى يعلم الجبل كله.. بماذا نخبرهم؟ هكذا قال الجميع. قالت: سنصلي جميعًا الليلة في منتصف الليل تمامًا، بعد أن نرتاح من عناء النهار ونستطيع أن نتنفس قليلا مع رطوبة الليل، وعندما تكون كل حبة رمل قد عرفت ما سنفعل.

علينا أن نصلي صلاة المطر، ونطلب الأمطار من الله. فشهقت مليارات المليارات من الرمال المحيطة، وكذلك

شهقت الصخور: كيف لم نفكر في ذلك من قبل؟ بوركت يا حبة الرمل الحكيمة.. حتى لو لم تسقط الأمطار، فإن الصلاة ستريحنا وتوحّدنا، ولكن ماذا نقول في الصلاة؟ لقد نسينا هذا الأمر، قالت حبة الرمل: سأصلي وتصلي خلفي كل حبة رمل، وكل صخرة، وسأرفع صوتي، فصوتي قوي، فقال الجبل: سنفعل ما تقولين أيتها الحبة المباركة.

❊ ❊ ❊

حدث كلام كثير، وثرثرة بالغة مملوءة بالفرحة في طول الصحراء، وأصبح الجو مشحونا بانتظار لمنتصف الليل، وعندما حلت لحظة الصلاة قالت حبة الرمل:

يا رمال الصحراء، أيتها الصخور، أيها الزلط والحصى، والغبار، ليصلّ كل منكم من عمق قلبه، وليترك أشواقه تتدفق، وقولوا خلفي: أيها الإله العظيم، أمطرنا من خيرك الفياض.. أيها العادل، لقد حاق بنا ظلم الصيف الحارق، وأهلكتنا أشعة الشمس.. إننا نشهق لو مرت فوقنا سحابة بيضاء شوقا إلى الماء والرطوبة، إلى النباتات تظلل الصحراء.. يا ربنا العظيم.. لا يوجد أعظم منك.. هكذا دوي صوت رمال الصحراء.. صوت رفيع لكل حبة، تجمع في دوي هائل إضافة إلى صوت الجبال.

في الحقيقة.. عند بداية الصلاة لم تكن في السماء سحابة واحدة بيضاء تعد بقطرة واحدة من المطر، ولكن الرمال صلّت بشغف، وحب، ورغبة صادقة فتحت لها أبواب السماء، وعند الحرف الأخير من الصلاة، قالت الرمال: آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآمين طويلة، طويلة ممتدة.. أرادت الرمال أن تمد كلمة آمين حتى فصل الشتاء، ولكنها انتهت في النهاية، وأحاط الصمت المكان، وخيم على الصحراء سكون هائل، جعل الرمال تسمع أصوات مليارات المليارات من قطرات المطر وهي تهبط من السحاب الأسود الذي تجمع فجأة.. وبعد دقيقة هطلت الأمطار متدفقة غامرة، وعم الضحك والفرح الصحراء والجبال، من أول حبة رمل على الحدود الفاصلة عن الأرض الخضراء، إلى آخر حبة رمل في الناحية الأخرى.. ومن قلب النشوة التي غمرت الجميع صاحت حبة الرمل الحكيمة: يا إخوان، لا تنسوا صلاة الشكر.. إنها واجبة، واجبة.

❊ ❊ ❊

المايسترو

في بعض بلاد العالم يأكلون أفخاذ الضفادع، وفي بعض البلاد الأخرى، يضربونها في الخلاط ويشربونها عصيرًا، ولكن الضفادع عمومًا تعيش حياة آمنة تقريبًا في معظم دول العالم. هذا تقديم لا بُدّ منه، لأنّ هذه الحكاية عن أشهر أستاذ للموسيقى في تاريخ الضفادع.

❊ ❊ ❊

في قديم الزمان، كانت الضفادع تغطي سطح الكرة الأرضية، وكان عددها سبعة عشر مليارًا، وحجمها كان أضعاف حجمها الآن، وصوتها كان شنيعًا، ولا يمكن احتماله، حتى الأحجار كانت لا تحتمله.. صوت الضفدع الواحد يزعج جميع الحيوانات المحيطة به، فما بالك بسبعة عشر مليار ضفدع، حتى أن الأسد جبل الأول ملك الغابة كان يخصص فريقًا من ألف صقر، وألف غراب، وألف ثعبان، وألف ثعلب لاصطياد الضفادع المحيطة لكي يستطيع النوم، وكانت ملائكة النباتات تقطع صلاتها بسبب صوت الضفادع.. باختصار كان فصل الصيف جحيمًا، خصوصًا أوقات التزاوج.

❊ ❊ ❊

فى ذلك الوقت كان المايسترو يفكر في قتل نفسه، والمايسترو هو الضفدع المقدس في عالم الضفادع.. فهو الذي غيّر عالم الضفادع، وأسعد باقي الكائنات على وجه الأرض.. ولكنه لم يكن قد أصبح كذلك بعد.. وكان يحاول كتابة النوتة الموسيقية الأولى في عالم الضفادع، ولكن صوتها الرهيب كان يؤلمه، ويقطع تفكيره، فصرخ من الغيظ:

إن نهيق الحمير أجمل وأروع وألذ من صوت الضفادع، إنّ صوت الضفادع شغب في الحياة، وإرهاب حقيقي.. أيتها الضفادع، إنّ صوتكم عار على الحياة، ألا تخجلون؟ ولكن الضفادع لم تهتم بكلامه، بل سمع ضفدعًا بعيدًا يشتمه قائلا بصوته الشنيع: اصمت يا أستاذ الموسيقى الفاشل، فنحن في موسم التزاوج، وكل منا يبحث عن زوجة، ألا تعرف ذلك، أيها المتعجرف؟

❊ ❊ ❊

عرف المايسترو أنه لا توجد فائدة من الكلام معهم، وأغلق أذنيه، وعكف على وضع السلّم الموسيقي الأروع في حياة قومه، والذي جعل لحياتهم معنى، إنه أهم اكتشاف في التاريخ ويتكون من سبع حركات قابلة للتنوع إلى ما لا نهاية، وها هي حركات السلم الموسيقي: قي قا قو قي قي قا قي.

عرف المايسترو قيمة اختراعه الذي سيعطي لليل الصيف بهجة خاصة، ويمكن للبلابل والكراوين أن تتعلم منه، وفكر في تنفيذ خطته دون أن يدعو الضفادع إلى تعلم نوتته الموسيقية، أو يعظها، لأنّ الضفادع تكره المواعظ أكثر من أي شيء.

انتهز المايسترو لحظة صمت، وبدأ يغنّي حركات سلمه الموسيقي، فاستمعت الضفادع كلها في دهشة من صوت المايسترو الساحر، وعرفت مقدار بشاعة صوتها، فصمتت، بينما ظل المايسترو يعزف لحنه الخالد ساعة كاملة، وقد أسعد صوته الحيوانات كثيرًا، وجعل أعصابها هادئة.. كان القمر يضيء فيغمر بركة المياه.. ساعة كاملة والمايسترو يغني وينقّ وحده، ولم يجرؤ أي ضفدع أن ينفخ كيسه ويقاطعه، وعندما تأكد أن الضفادع حفظت اللحن سكت وحل صمت رهيب لمدة دقيقة، ثم بدأت الضفادع تغني اللحن الجديد الساحر مترددة في البداية، ثم أصبحت تغني وتنقّ واثقة من قدرتها، ولم يخطئ ضفدع واحد في السلم الموسيقي، وأخذت ملائكة النباتات تصلّي على ذلك الصوت الجديد الجميل.

دهش المايسترو للأثر السريع، وتأكد أن اللحن الجميل يؤثر في الجميع.. ومن هذه الليلة أصبح المايسترو هو البطل القومي للضفادع، وأشهر شخصية رغم مرور ألوف السنين، وأي إنسان يستمع إلى نقيق الضفادع،

لو ركز قليلا يستطيع أن يكتشف السلم الموسيقي الذي اخترعه المايسترو، ولا بُدّ أن يقدّره حق قدره.

والآن من لا يعرف السلم الموسيقي لا ترضى أن تتزوجه أقبح ضفدعة على وجه الأرض، وتمزق الضفادع كيس النفخ الخاص به، فلا أحد في عالم الضفادع يحتمل الصوت النشاز، مع ملاحظة عدم وجود ضفدعة قبيحة أبدًا، فكل إناث الضفادع جميلات.. إنهن ملكات جمال.

❊ ❊ ❊

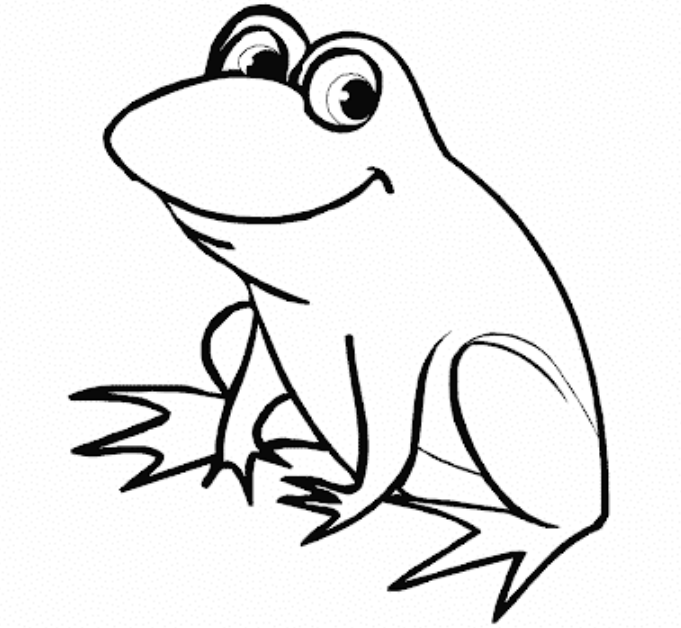

يا للروعة!!

من أول النهار والدودتان الصديقتان تعملان بلا انقطاع ولا تعب، فأمامهما طريق طويل لتحقيق أجمل هدف في الحياة.

في حديقة مزدحمة بالديدان الملونة التي تلتهم الأوراق في منطقة الديدان الخاصة.. الدودة الأولى اسمها الغالية، والثانية فرحة، وصديقهما مؤنس الذكر الوحيد على الغصن ذي الأوراق الناضرة الشهية.

قالت الغالية وهي تستريح قليلا: لقد اقترب الموعد يا فرحة يا صديقتي، أشعر أنّ شهيتي لم تعد كما كانت، فلم آكل اليوم غير ورقتين فقط، وليست هذه عادتي في الأكل.. ردت فرحة: نعم وأنا كذلك.. وقال مؤنس: إنّ أجمل شيء أن أولد فراشة وأطير وعيون جميع الكائنات تنظر ناحيتي وتقول مندهشة: يا للروعة!.. وأينما أطير يقول البشر والحيوانات عندما يشاهدونني في أفخم ثوب.. الكل يترك ما في يده ويقول في دهشة: يا للروعة.

قالت الغالية: نعم، هذا هو هدفي، أن أسمع كلمة: يا للروعة. إنّ هذه الكلمة أشهى من رحيق الزهور، قالت فرحة: هل سنكون حقا ملائكة؟ قال مؤنس: نحن سنشبه الملائكة كثيرًا، لكنها شفافة.

❋ ❋ ❋

بعد هذا الحوار صرخت دودة من الغصن القريب: احذروا وحش في المنطقة، فانكمشت جميع الديدان التي تسعى لتولد فراشات، وتسمع صيحة الفرح: يا للروعة. انقضّ العصفور صاصوه، واختطف دودة خضراء وصفراء، وطار بها وهي تصرخ في منقاره.. هذا الرعب لا ينتهي هكذا قالت فرحة.. هذه هي المرة الثانية اليوم التي تهاجمنا فيها الطيور، وما زلنا في وقت الضحى، قال مؤنس: هذه بعض صعوبات الوصول إلى الهدف، إلى الميلاد الجديد. الطريق شاق. أسرعن ولا تتوقفن عن الأكل، فربما نبدأ غدًا نسج الشرانق، وعندما تبدأن في ذلك، اجعلن النسيج جيدًا وثابتا على غصن قوى.. إنها مرحلة المخاض العظيم.. أيتها الجميلات، فهي معاناة وتعب، وأهم مرحلة تحول في الحياة، فتشجّعن.

سمع فريق العمل صراخا قريبًا على الغصن.. انقضّ الوحش صاصوه مرة أخرى، واختطف الغالية، وطار بها وهي تصرخ في منقاره.. توقفت فرحة عن الأكل، وظلّت تبكي بلا توقف من أجل صديقتها القتيلة، وأصاب مؤنس حزن حاد، وتوقف عن الأكل، ولم تتبادل الديدان كلمة أخرى باقي اليوم من شدة الحزن.

احذروا، خطر في المنطقة، جاء التحذير من طرف الغصن هذه المرة، ثم سمعوا الصوت المرعب للدبّور الرهيب، وكان يخرم بزبانه ظهر الدودة عائشة، ملكة

جمال الديدان.. كانت عائشة تدافع عن نفسها بلا فائدة، وظل الوحش الصغير، يخرم جلد ظهرها، ويضع بيضه، وعائشة تتألم وتصرخ، وأخيرًا طار بعد أن ارتكب أبشع جريمة في الحياة.. عرفت جميع الديدان ما سوف يحدث، ستفقس البيوض في جسد عائشة وهي حية، وتأكلها من الداخل وتخرق جسمها وتخرج عشرات الدبابير الصغيرة اللعينة، وسيصبح جسد عائشة الملون الغض الجميل كالمصفاة، وتموت ببطء.

* * *

إنّ الحياة لا تستحقّ أن تُعاش.. هكذا صرخت دودة متألمة مما حدث، ولكن مؤنس أشجع دودة على الشجرة قال: تشجّعوا، كاد الأمر أن ينتهي، وما حدث ضريبة لا بُدّ أن ندفعها، لنولد فراشات طائرة، ونسمع أجمل كلمة في جميع اللغات من جميع الكائنات: يا للروعة.. إن الحياة تنتظركم يا شعب الديدان لتهتف من الدهشة: يا للروعة.. إنّ الطريق إلى الجمال هو أصعب طريق في الحياة، وعلى كل دودة مستعدة أن تبدأ في نسج شرنقتها فورًا، وعلى الآخريات الإسراع، فنحن في مهب المخاطر.

بثّ كلام مؤنس التشجيع في مئات الديدان، وبدأ مؤنس وفرحة ينسجان شرنقتهما بحب حقيقي، وبدأ الحرير الأبيض الشفاف يلتف حول جسد كل منهما، ولم ينس

مؤنس أن يعانق فرحة قبل عملية النسج المعقدة والطويلة، واعترف لها بحبه، فبكت فرحة من الفرحة، وقالت له: أراك في الناحية الأخرى - أيها البطل - ذكر فراش رائعًا. وإلى اللقاء كانت آخر كلمة بينهما.

❊ ❊ ❊

أشرقت الشمس وغربت، ثم أشرقت وغربت مرات ومرات، وفي صباحٍ جميل كانت الأشعة تغمر الحياة بنورها، بدأ مؤنس يفتح كيسه ويتنفس النفس الأول كذكر فراش رائع، وبعد دقائق فتحت فرحة كيسها وشهقت من الفرحة، وهي ترى الشمس.. قال مؤنس: مرحبًا يا حبيبتي. ما أجملك!! ردت فرحة: وأنت أيضًا ما أجملك.. وقفا ساعة مبللين بسائل الميلاد حتى تجففهما الشمس، وتقوى أجنحتهما، ولم يكفا عن الكلام، ثم طارا معًا يضحكان وتضحك حولهما الحياة، وعندما مرّا بجوار جمع من الحمير والماعز والجواميس والأبقار وحيوانات أخرى وبشر، توقف الجميع عن الحركة، وهتفوا معا: يا للروعة!

❊ ❊ ❊

تحيا الملكة

خلف النحلة الكشافة اصطفّ جيشٌ من جامعات الرحيق في رحلة طويلة غير عادية، فقد أخبرتهم الكشافة عن وجود روض رائع فيه أزهار مترعة بالرحيق المميز برائحته الجديدة، وطعمه ألذّ من أي رحيق سابق.

طارت الكشافة وعبرت النيل رغم خطر العصافير التي تستمتع بأكل النحل، خصوصًا زعيم العصابة المجرم صاصوه، وبعد النيل استمرّ الطيران، وقبل الوصول إلى الروض بمسافة شمّت جامعات الرحيق الرائحة الرائعة.. حذرت الكشافة زميلاتها: احذرن الوحش الحديدي الطويل فهو قادم، إنه يشبه الدودة الجبارة، ولكن للأسف، صدم الوحش ثلاث نحلات من أنشط النحل، وهذا أمر سيّء، ولكن الحياة هكذا.

أمرت النحلة الكشافة نحلة بمراقبة الوحش ذي الصوت الرهيب. وبدأ الحفل الأسطوري لجمع أشهى رحيق في تاريخ النحل بين أصوات المتعة، أوه أوه لذيذ.

عندما استعدت مائة وسبعون نحلة للعودة، كان وحش حديدي آخر يهدر، فصرخت النحلة الحارسة: احذروا، فتوقفت النحلات، ثم عبرت السكة الحديد، وعبرت النيل، وعادت إلى الخلية مثقلة وسعيدة، فدبّ النشاط في المملكة، لم تسترح النحلات، وعادت مرة أخرى إلى الروض البعيد، وقرب النيل انقض العصفور صاصوه، والتهم نحلة، والتهم الوحش الحديدي نحلة

ثانية.. قالت الكشافة: هكذا الحياة، وأخذت الحارسة مكانها.

في المرة الثالثة خسر النحل نحلة واحدة.. إنّ المكاسب رغم ذلك كبيرة جدًا، وقبل الغروب وصل النحل إلى المملكة، فأصابته صدمة هائلة.. أين المملكة؟ ماذا حدث يا إلهي؟ من دمر مخزون النحل؟.. كان النحل الانتحاري ينقض على الوحش الآدمي بلا فائدة؛ لأنه كان مدرّعًا بملابس ثقيلة، وشبكة من السلك على وجهه..

سرق الوحش العسل ومضى.. صاحت النحلة الكشافة: ما حال الملكة؟ رد الحرس: إنها بخير، صاحت الكشافة: أيها النحل إنّ الحوادث تحدث.. هيا إلى العمل، فأمامنا مملكة نصلحها، ونعيد إليها النظام، المجد للملكة، فصاح كل من في المملكة بصوت هز المكان: المجد للملكة، تحيا الملكة.

❊ ❊ ❊

خط النهاية

خرجت الأفعى توحيدة تدعو الله أن يرزقَها بفأر سمين، أو ضفدعة كبيرة، فقد اقترب الشتاء، ولا بُد أَن تستعد للبيات الشتوي.. وخرج الفأر فراويلة يبحث عن بعض الحبوب بجوار جحره، لكنه غامر وابتعد قليلا فلم يشعر بأي خطر.. وخرج ثعبان الكوبرا سلطان المحترم جدًا، والمهاب جدًا أينما ذهب، فالكل يعرف أن لدغته لا شفاء منها.. وكان الصقر عكاشة أعلى شجرة الجميز يراقب منطقته، ويتأكد، هل حدث تغيير أم لا؟

بضربة مفاجئة كالبرق، ومؤلمة كالصاعقة، انقضت توحيدة على فراويلة بعد أن حددت مكانه بدقة عن طريق لسانها الذي يتشمم الهواء.. لم يكن فراويلة ينتظر ذلك، ولكنه شعر بالسم يمزق عروقه.. تركته توحيدة حتى أصابه الشلل من السم، وبدأت في التهامه ببطء، وقد نسيت الدنيا من اللذة.. كان الكوبرا سلطان يراقب الموقف متأملا خطته، فقد رأى الفأر قبل توحيدة ولكنه تركهما.

أصبحت توحيدة شبه مخدرة بعد أن أصبح الفأر مثل الكرة في بطنها، وأخذت تعصره بعضلاتها القوية.. وحانت اللحظة فضرب سلطان ضربته وهي ضربة أستاذ، وغرز أنيابه في جسد توحيدة قرب رقبتها، ولم تستطع أن تفعل شيئا، ولكنها دافعت عن نفسها مرعوبة، وجرحته بلا فائدة، أما سُمّه فقد أتى مفعوله بعد ثانية.. همهم سلطان سعيدًا وقال: هذه وليمة

مزدوجة، لم أحصل على مثلها منذ عامين.. إنها أفضل وجبة لمواجهة برد الشتاء، وبدأ يبتلع توحيدة التي تقاربه طولا، وكان الصقر عكاشة يضحك للحظ السعيد الذي ساق إليه هذه الوليمة الثلاثية. إنها وليمة العمر.. هكذا قال عكاشة، وهو يحدّق إلى الوليمة، ثم انقض كالصاروخ، وأمسك سلطان، وهرس رأسه بمخلبه، وبدأ أروع وجبة شهية في حياته، ستكون حكاية في عالم الصقور لشهور طويلة.

❊ ❊ ❊

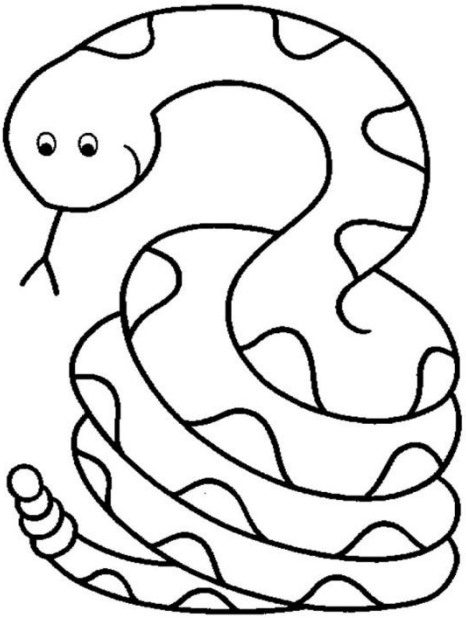

ربع نهيق

العصفور صاصوه هو أول من رأى الجرّار الزراعي شبل يجرّ الحافر الذهبي، أشجع وأجمل حمار في القرية والقرى المجاورة، والقرى المجاورة للقرى المجاورة.. كان شبل مربوطًا من قدميه الخلفيتين، وشعر جسمه الأبيض يلتصق بالأسفلت خلفه.

سار شبل واستدار على طريق جسر النيل، وتوقف بجوار كومة من القاذورات.. نزل السائق عوف، وصاحب الحافر الذهبي الذي فك قدميه، وقلبه مع عوف سائق الجرار وتركاه بلا مبالاة وعادا.

أسرع صاصوه وأخبر الحمارة غزالة حبيبة الحافر الذهبي وإحدى زوجاته، وكانت تعرف أن صاصوه يعيش على شجرة الكافور هيفاء بجوار زريبة حبيبها.. لكنها لم تصدق، فقد رأته من أسبوع وكان في خير حال.

سارت غزالة وهي تكاد لا ترى أمامها، وتبعها صاصوه محلقا فوقها.. لم تكن غزالة مربوطة لأنّ صاحبها يثق بها.. وهذه أول مرة تخون ثقته.. بعد كيلومتر رأت أبشع منظر في حياتها.. كان الحافر الذهبي على جانب الجسر، ورقبته ملويّة تحت جسمه، ورأسه الجميل بلا حياة تحت جسمه.. إنّ البشر وحوش.. إنهم لا يحترمون حتى ملوك الكائنات الأخرى، ولا يقدّرون من خدمهم خدمة شاقة.. هكذا

كانت تفكر غزالة وقد انشق قلبها، ولم تستطع البكاء في تلك اللحظة.

كانت كثيرا ما تمرّ على حمير ملقاة وحولها الكلاب، ولكنها كانت تظن أنها ستعيش للأبد. وكان الحافر الذهبي يقول لها: إنني قوي ولا أشعر بأي سوء.. وتلك الحمير تموت لأنّها ضعيفة.. نحن أقوياء، فلا تفكري كثيرا في هذا الأمر، وها هو الآن يرقد بلا حياة.

❊ ❊ ❊

هيا يا غزالة، لا فائدة من هذه الوقفة، فلن يعيده الحزن. هكذا قال لها صاصوه.. عادت غزالة وهي لا تشعر بالحياة، وتسير بصعوبة كأن عظامها مكسورة.. قابلها صاحبها في الطريق فلم يعاتبها.. ركبها وعاد بها ليذهب إلى الحقل.. وكان لا بُدّ أن تمرّ على جثة الحافر الذهبي مرة أخرى، فمرت مسرعة.. وبعد أن سارت قليلا ارتعش جلدها من الرعب فقد قابلها أسوأ ثلاثة كلاب في المنطقة، الكلب روح، وخلفه ركس، وخلفه عيطة.. يا للهول.. إنهم في طريقهم إلى الحافر الذهبي، سيأكلونه بلا شفقة.. سالت دموع غزالة غزيرة غزيرة، وكان يتبعها خطّان من الدموع حتى وصلت إلى الحقل، فتركها صاحبها على شاطئ الترعة لتأكل الحشائش، ولكنها لم تأكل.. هل تأكل مطعونة؟..

رقدت غزالة فلم تحتمل الوقوف، وواصلت البكاء، والألم، والتفكير في الحافر الذهبي.. فهو الوحيد الذي تزوّج فرسة، فأنجبت بغلة، وعمل في حياته أكثر من ألوف البشر.. كان يحمل غبيط الردم من الحقل إلى الزرائب طول اليوم، وينقل السباخ من الزرائب إلى الحقل قبل انتشار العربات الصاج التي أصبح يجرّها يوميًا، كما كان يدور في الساقية لساعات، وأنجب عددًا كبيرًا من الحمير، وله زوجة في كل مكان.

* * *

أخذ صاصوه يمارس مهام المخبر الخاص ليعرف سبب موت جاره الشهم الذي كسر قلب غزالة، أطيب حمارة رآها، وأنقى قلب على وجه الأرض، فهي تعمل كثيرا وتأكل قليلا، ولم تتذمّر يومًا.. لقد تعبت في حياتها مثل الحافر الذهبي الذي لم يرتح إلا مع صاحبه الأخير.. وكان الحافر الذهبي يترك صاصوه يشاركه الطعام، فيلتقط حبوب القمح المختلطة بالتبن في مزوده.

تسمّع الأخبار على الشبابيك والنوافذ وعرف أن المرأة العجوز وضعت في طعام الحافر الذهبي على سبيل الخطأ كيسًا كبيرًا من سُمّ الفئران الشديد؛ لأنّ نظرها ضعيف.

أغفت غزالة دقائق، ثم وقفت، وفعلت أغرب فعل في عالم الحمير.. لقد نهقت من شدة الألم، وذكور الحمير هي التي تنهق.. ولكن الحقيقة أن ما صدر عن غزالة لم يكن نهيقا كاملا، بل ربع نهيق، صوت من الألم يحرك الأحجار، حتى أن صاحبها تفاجأ من كمية الألم في صوتها.. ومن ذلك الوقت أطلق البشر على ذلك الصوت اسم حريق على وزن نهيق؛ لأنه صوت يحرق القلوب حزنًا. إنه صوت أية حمارة تنوح على حبيبها القتيل.

❊ ❊ ❊

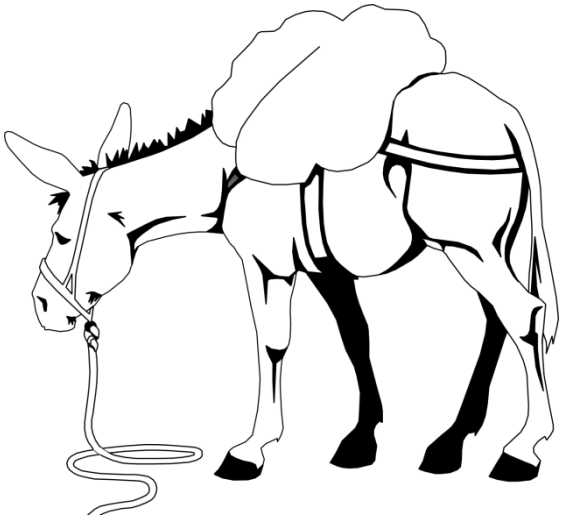

تعاليم زازا
ملك الطيور

فجأة أصبح زازا ملكا لطيور الإوز المهاجرة، والتى سوف تحين هجرتها من برد الشمال إلى دفء الجنوب، بعد أيام في رحلة شاقة وخرافية.. آلاف الكيلومترات في رحلتها السنوية.

زازا هو قائد الميمنة لسرب الإوز، وهو قويّ وذكي، وصاحب شخصية مسيطرة، ويضاف إلى ذلك أنه شاعر السرب، ولكنها الرحلة الأولى التي يقود فيها ألوف الطيور إلى شاطئ البحيرات الجنوبية، إنه يعرف الطريق مثلما يعرف نفسه، ولكن الإحساس بالمسئولية ضاعف قلقه.. زازا قائد الميمنة منذ عامين ونائب للملك رياش القتيل، ومهارته جعلته قائدًا في شبابه، أما قائد الميسرة فهو صديقه سحاب الذي أصبح قائدًا للميمنة الآن.

جمع زازا قوّاد جميع الأسراب، وأمرهم بالاستعداد بعد ثلاثة أيام، كما أمرهم بمتابعة تدريب الطيور الشابة على الحركة الموحّدة والطيران الطويل، وتهيئتها للهجرة الأولى في حياتها وقال: أيها القواد، إن الحزن يملأ قلبي، فلم يكن الملك رياش ملكي فقط، بل كان أستاذي وصديقي، وأشجع ملوك الإوز، وجعل مصلحة الشعب فوق مصلحته، ومات شجاعًا في مواجهة قاتلة.

انصرف قوّاد الأسراب، واستغرق زازا في حزنه وهمومه، فالملك رياش كان أجمل الطيور، وأنصعها ريشًا.. لماذا لم تطر يا صديقي في مواجهة الخطر؟

عندما هجم الذئب برق على الإوز تصدّى له الملك رياش، فتراجع برق الماكر الخبيث أمام جناحي الملك المفرودتين ومنقاره الحاد، وصدره العريض، وريشه المنفوش.. توقف برق وادعى الخوف.. وكانت المملكة في حالة رعب، فطار من طار وابتعد من ابتعد، والكل يراقب ما يحدث.. فجأة هجم برق هجومًا خادعًا صاعقا بأنيابه اللامعة، ومزق الملك رغم مقاومته العنيفة، ولطخ دمه الطاهر الأرض، ولوّن ماء البحيرة القريب.. انطلق الصراخ في أنحاء المملكة، وهكذا أصبح زازا ملكًا للطيور.. سيقود السرب الرئيسي، وتتبعه بقية الأسراب.

❊ ❊ ❊

أصبحت المملكة معسكرا نشيطا من التدريبات وورش العمل، والإرشادات، وشرح طريقة الحركة الموحدة المتتابعة.. كانت الطيور الشابة تتحرق شوقا لبدء رحلة هجرتها الأولى لترى العالم، وتشاهد عجائبه.. فالأمر لها تسلية، وللكبار مسئولية كبيرة جدًا.. مسئولية الحفاظ على مملكة الإوز الذي يشتهي المفترسون لحمه.. هذا الإوز الذي لا يملك إلا أجنحته، وحذره ورعاية الله.. كما يقول لهم الملك زازا الجديد.

❊ ❊ ❊

في صباح اليوم الموعود، يوم الهجرة، جمع زازا ألوف الطيور أمامه، ووقف على صخرة مرتفعة، وخطب خطبته الأولى كملك، بصوته القوي الواضح الذي سمعته آخر إوزة في الصف الأخير: أيتها الطيور الجميلة القوية، سنبدأ بعد هذه الخطبة هجرتنا إلى الجنوب برعاية الله، فعلى الجميع أن يكون على قدر المسئولية، خصوصًا الشباب الذي يهاجر للمرة الأولى.. عليه أن يتبع القواعد حتى لا تخور قواه بعد بضعة أيام.. إنها رحلة حياة أو موت.. لن تعوقنا الصعوبات، مهما كانت.. لنا هدف، أن نصل إلى بحيرة الشمس المشرقة في الجنوب.. سنعبر الجبال، والبحيرات المتجمدة، والسهول، ثم نعبر البحر الكبير إلى الشاطئ المنشود، ونهبط في بحيرة الينابيع المقدسة، لنتزود بالطعام الذي يساعدنا لعبور البحر.

إن التزمنا ستكون رحلة ممتعة للشباب ورحلة لتأمل الكبار.. على كل طائر أن يحفظ الطريق، وعلى الجميع أن يتبعوا قادة الأسراب.. سأقود السرب الأول، وتتبعني الأسراب الأخرى.. انتبهوا

جيدًا.. الجناح الأيمن مع الجناح الأيمن، رفة رفة، والجناح الأيسر مع الجناح الأيسر، رفة رفة، وبذلك يقل الجهد المبذول، فالطيران على شكل رأس مثلث يخفف الجهد، ويجعلنا نخترق الهواء بسهولة، وكلما اتجهنا جنوبًا ستسطع الشمس، وتصعد عند الظهر

التيارات الهوائية الدافئة، وستحملنا مجانا، وهي أمتع ما في الرحلة.

انتبهوا جيدًا للنسور القاتلة.. فهي تنقض في لمح البصر، واحذروا الطيور المعدنية الضخمة.

يا شعب الإوز العظيم، سيرى الشباب العالم، وسنعبر الحدود، ولا يستطيع أي رئيس أو ملك أن يمنعنا من عبور حدوده، فنحن نسافر بلا جوازات سفر، ونرى تنوّع الحياة.. وهذه أكبر ميزة نشكر الله عليها.

لقد ضحى الملك رياش العظيم بنفسه من أجلكم، ولم يحترم الذئب مكانته، وأنه من أعظم ملوك الإوز في التاريخ.. ها هو دمه ما زال يلطخ الأرض، وريشه الناصع المقدس متناثر حولكم، ولكن لا يجب أن تضيع تضحيته هدرًا.. الرحلة أهم حدث في حياة الشعب، فليوفقنا الله، فله المجد، ولنا السعي والعمل، قولوا معًا: اللهم وفقنا. رفعت ألوف الطيور أجنحتها بجوار رءوسها، وقالت بصوت رائع وطويل: اللهم وفقنا.. آآميـن.

❋ ❋ ❋

فى هذه اللحظة انطلق الملك الجديد زازا، وعلى يمينه القائد سحاب، وعلى يساره قائد الميسرة الجديد، ورفرفت ألوف الأجنحة مرة واحدة بصوت ساحر، فلا يوجد أجمل من صوت رفرفة الطيور، وبدأت الأسراب تتشكل في السماء، وكل من رأى ذلك المنظر لا ينساه ولو بعد ألف سنة.

❊ ❊ ❊

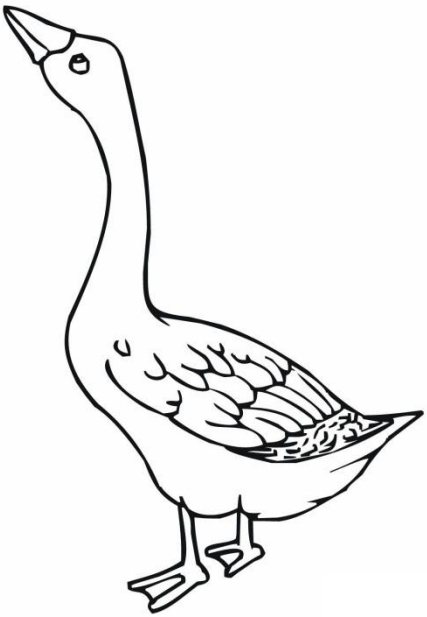

مفاوضة بين حسين وبيساو

فتح القط بيساو باب البيت الريفي، ودخل إلى الصالة الفسيحة، وقفز فوق الموتوسيكل، وأقعى في جلسته القديمة، وكنت أنظف الدراجة ريشة التي اشتريتها منذ عام، وأصبحنا أصدقاء، وتركت الموتوسيكل أبوللو بسبب مشاكل المرور.

مرحبًا يا حسين.. هكذا قال بيساو وهو يرفع يده اليمنى.

- مرحبا يا بيساو.. كيف حالك؟

بخير، رغم شوقي لمنزل العائلة، بعد أن طردتنا جميعًا في الحادثة المشهورة.

- كنت معذورا، فلا أحد يحتمل قبيلة من القطط، فيها قط قذر.

تقصد باسو؟.. لقد تغيّر تمامًا.. إنه شيء مختلف الآن.. إنه ملاك.

- الوحش لا يتغير.. لقد قلت لكم ذلك ألف مرة. هل يصير الشيطان ملاكًا.

لم يعد باسو وحشًا يا حسين.. فهو يمارس اليوجا الآن.

- ماذا ؟.. اليوجا. باسو يمارس اليوجا ها ها ها، ها ها ها، ظللت أضحك وأضحك حتى وقعت على ظهري وأخذت أضرب الهواء بقدمي من شدة الضحك.

أيها المحترم.. لماذا تفعل ذلك؟ وأنت على مشارف الخمسين؟ هذا لا يناسبك أبدًا، فأنت تضحك مثل الأطفال.

- نعم.. أضحك مثل الأطفال، وهذا يناسبني إلى أقصى حد، فما تقوله مضحك جدًا، إنه أكثر كلام طرافة سمعته منذ ثلاثة أشهر.. ما علاقة قط شرس مفترس باليوجا؟ فاليوجا رياضة العقلاء، أصحاب الأرواح العظيمة.. فاليوجا رياضة النخبة.

ألا تعرف أنّ القطط هي الحيوانات اليوجية المثالية في العالم؟

- بلى، بلى، ولكن ليس باسو، فهو غليظ الروح، غليظ التفكير، بلا قيم ولا مبادئ.

لقد تغير باسو يا حسين.

- اسمع يا بيساو.. لا تراوغ.. هل أرسلك باسو؟

نعم أرسلني لأتوسط له لكي يعود إلى البيت.

- يا بيساو أنت على الرحب والسعة، أنت وبيسة فقط، وليس قبيلة القطط، وليس باسو أبدًا أبدًا.

اسمع يا حسين.. لقد عرفنا أن فراويلة الثالث زعيم الفئران يقود قطيعًا من الفئران البدينة، ويتجوّل بحرية في أنحاء البيت، ويعبثون في كل مكان.. ونحن لا نرضى بذلك أبدًا، فهذا البيت بيتنا على كل الأحوال، قبل أن تطردنا إلى الشارع، ولا أريد أن أقول لك إننا سعداء، فقد وجدنا الحياة خارج البيت رائعة، والطعام متوفر أكثر من هنا، وما دفعنا لطلب العودة هو عشق مسقط الرأس، والرغبة في صداقتك.

- أتقصد أنني بخيل؟ أتتهمني كما يتهمنى باسو بالبخل؟

أنا لا أقصد شيئا أيها الشاعر، رغم أن باسو يشكو أنك فضحته في كل مكان، وكتبت عنه قصصًا سيئة، وشنعت عليه في رواية حافة الغابة، ولو نشرت الرواية سيكون شكله سيئا أمام قطط العالم، وهو يرجوك ألا تفعل ذلك.

- يا بيساو أنا لم أكذب في حرف واحد، ولم أقل غير الحقيقة، وأنتم يا شعب القطط تعرفون ذلك، والقطة بوسة اعترفت بوحشية باسو.. أنا شاعر ولا أكذب، وإن تغير باسو كما تقول، فسوف أكتب قصة عن أخلاقه الجديدة، أقول فيها الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة، وأنت تعلم ذلك يا بيساو، ولكنى أشك في كل ما تقول.

أقسم يا حسين إنه تغير، وهو يقسم إنه تغيّر، والحقيقة أنه لم يتغير من نفسه، ولكن الحظ جعله يقابل القط المعظم سابا أستاذ اليوجا، وأعظم قط في العصر الحديث، إنه عجوز ولكنه معلّم كامل عندما قابله باسو ولم يكن يعرفه، فخطف طعامه، فتركه المعلم سابا، وظل باسو أياما يضايق المعلم العظيم، ولم يصدق عندما أخبروه أن سابا أعظم قط في التاريخ.. وفي يوم لم يكتف بخطف طعام معلم الويجا، بل اعتدى عليه، وضربه، وجرحه في وجهه، فلم يرد عليه سابا، وإنما دافع عن نفسه فقط، فواصل باسو اعتداءه، ولم يصدّق كيف يدافع القط العجوز عن نفسه؟ كيف يجرؤ أن يرفع مخلبًا في وجهه؟ فضربه سابا، وأوقعه على الأرض بحركة بارعة غير قاتلة، ووضع مخلبه الأيمن عليه وثبته في مكانه، ولم يستطع باسو أن يفلت من المعلم العظيم.. ربع ساعة حتى كاد أن يختنق، وأخذ يتألم ويرجوه أن يتركه.. ويشيع البعض أنه بكى تحت مخلب المعلم، فقال سابا: أتركك بشرط أن تكف عن سلوكك العدواني، وأن تبدأ من اليوم دراسة اليوجا، وأن تمشي بين القطط بالخير، وأن تكفّر عن ذنوبك، فوافق باسو عندما رأى القوة الخارقة للمعلم.

منذ تلك الحادثة أصبح تلميذا للمعلم، بل إنه أصبح يقوم بالتدريس نيابة عنه أحيانا، وهو يحكي تجربته كثيرا عندما كان متشرّدًا، وعرف طريق الحق على يد المعلم. هذا يا حسين هو باسو الجديد، وقد أرسلني

لأتوسط لـه، فهو يريد أن يكفّر عن سلوكه الشرير معك.

- يا بيساو.. هذا الكلام مؤثر جدًا، ولكنّي أشك في كل كل ما تقول، فتجاربي تقول عكس كلامك، ولكني أرحّب بالمعلم سابا في أي وقت.

لماذا كل هذا التجني؟ ألا تشجّع الخير؟ ألست شاعرا، والشعراء هم رسل الخير والجمال؟ أما سابا فهو ناسك ولا يحب حياة البيوت.

- يا بيساو أنا لا أتجنّى على المدعو باسو، وأستطيع أن أكتب لك قائمة بطول كيلومتر بمضايقات باسو، مثلا أنت تعرف حكاية الفرخة المشوية التي أكلها ظلمًا وعدوانا، والخبز الذي تعبت في شرائه فأفسده كله، ولم يترك لي رغيفا واحدًا صالحًا للأكل، وطبق البطاطس الذي أفسده، وملابسي التي مزقها، وتبوّل عليها، وكيس الفينو الذي أكل نصفه، وأفسد نصفه الآخر بلا رحمة، ثم يشكوني بالبخل عند جميع الأصدقاء من القطط والطيور، وحتى الكلاب والحمير خصوصًا الحافر الذهبي القتيل. كما أنه كان ينام بعد أن يأكل بينما تمرح الفئران في كل مكان، فلماذا نصب نفسه زعيمًا للقطط؟

يا حسين كل هذا من الماضي، وعندما تشاهد باسو، ستشاهد ملاكًا.. إنه ملاك في أخلاقه حتى أنه لم يعد

ينطق بكلمة ناو ناو ناو، بل كل كلامه الآن نياو نياو، ينطقها في همس وخجل، وأنت تدرك معنى ذلك.. ثم إننا نرغب في العودة حبًا لك، وشوقا لتاريخنا معك، وليس حبًا في الفئران، ولن تجد فأرا واحدًا بعد عودتنا.

- أوافق أن تعود أنت وبوسة فقط، أما باسو فله أن يعود كل أسبوع مرة على سبيل التجريب.

كل يومين مرة يا صديقي.

- لا، كل ثلاثة أيام، يعود إلى البيت ليلة واحدة، وهذا آخر كلام.

اتفقنا يا حسين، وستجد أنّ في بيتك ملائكة في صورة القطط.

❊ ❊ ❊

رحلة الحج الأخيرة إلى مسقط الرأس

عندما تم الإعلان عن قيام الرحلة السنوية لشعب السلمون، كان على كل مستعد أن يتوجه في صباح اليوم التالي إلى مكان التجمع أمام قمة الحيد المرجاني للانطلاق في الرحلة الأخيرة في الحياة، والأكثر جهدًا ومتعة.

ثلاثة آلاف كيلومتر سيقطعها شعب الموكسا إلى مسقط الرأس.. وهذا هو الهدف الأساسي.. شمّ رائحة نهر الحنين بمياهه العذبة.. فلا يوجد مكان في العالم أروع من مسقط الرأس، حتى الأغبياء يعرفون ذلك.

والسبب الثاني للرحلة هو مواصلة الحياة والموت، وضع البيوض وتلقيحها.. وبذلك تتم المهمة المقدسة لشعب السلمون.. السفر من المحيط إلى نهر الحنين صعودًا ضد التيار إلى أروع شواطئ الأنهار من أجل الأبناء، من أجل المستقبل.

هكذا كان يفكر ذكر السلمون قرمز، فقد انتابته الأفكار والهواجس، لأنه فكر في هذه الرحلة من سنوات.. إنه مستعد، فهو قوي، ويزن ثلاثة كيلوجرامات وأكثر، وهو تحفة أنيقة بلونه الأحمر الفضي، ورشاقته وسرعته الفائقة التي أوقعت عشرات الإناث في غرامه، ولكنه لم يحب إلا فاطيما الجميلة دائمًا. والتي خُلقت من السحر والفتنة، ولم تخلق من بيضة مخصبة مثل باقي شعب الموكسا.. هكذا يراها قرمز العاشق.. وهي مستعدة مثله للرحلة المقدسة الأخيرة في الحياة،

فقد بلغا مبلغ الزواج، ولا تقام شعائر الزواج إلا في مسقط الرأس. هذه شريعة شعب سلمون الموكسا، رغم جمال المحيط، ولكن مسقط الرأس أجمل.

عاش قرمز وفاطيما عندما خرج كل منهما من بيضته، عاشا في مسقط الرأس والبحيرات المحيطة لمدة عامين، حتى أصبحا قادرين على الحياة في المحيط العظيم، فجابا العالم. ورأيا أروع المخلوقات وأبشعها، وتعرّضا مرات كثيرة لهجوم القرش، ولكنهما فرّا.. كما رأيا الحوت أضخم الكائنات، بل إنهما لمساه وعاما مسافة على ظهره.. ورأيا الدلافين التي تعشق اللهو، وكأنها ولدت من أجل أن تلهو وتلعب، وهي تعشق البشر، هؤلاء الوحوش الذين أمسكوا قبائل كاملة من شعب الموكسا في شباكهم الرهيبة.

عاش قرمز وفاطيما في قلب الشعب، فلا ينجو أحد بمفرده.. كان قرمز مسحورًا بفاطيما، وهو يرى أشعة الشمس تنعكس على حراشفها اللامعة.

* * *

بحث قرمز عن حبيبته بين صديقاتها، فقال: هل سمعت الإعلان عن الرحلة؟ قالت: نعم، هل أنت مستعد؟ رد قرمز: في الصباح نبدأ مع الشعب، ولكن عليك أن تكوني بجواري دائمًا، فالطريق طويل، طويل، وخطر

جدًا؛ لأنّ كل الوحوش في الطريق، وعندما نصل إلى النهر سنكون قد فقدنا أكثر من نصف وزننا، وقويت عضلاتنا، ولكن صعوبات النهر أكثر خطورة يا حبيبتي، فعلينا أن نقفز فوق مساقط المياه والشلالات الصغيرة، وسنكون مكشوفين للبشر والنسور والدببة، وثعالب المياه.. سيموت كثيرون منا، ولكن كل ذلك يهون من أجل رؤية مسقط الرأس، ومن أجل الحياة يكون الموت. فلنتوجّه إلى الله بالدعاء ليوفقنا في رحلة الحج الأخيرة. قالت فاطيما: نعم، فنحن أحوج الكائنات إلى توفيق الله.

* * *

انطلق سرب السلمون في الصباح تحت قيادة الزعيم موج يؤازره مجلس قيادة السلمون.. وهذه مسئولية كبيرة؛ لأن السرب الهائل يتكون من سبعة ملايين سمكة إناثًا وذكورًا، ولد معظمها في نهر الحنين، وهم إخوة وأقارب وأصدقاء، ويتكلمون عن طريق الإشارات الكهربائية وفي وقت الخطر يصبح شعب السلمون قلبًا ينبض بالتفاهم، وإن كان هذا الأمر لا يجدي كثيرًا.

المحيط فيه كل المفاجآت، فبعد أسبوع اخترقت السرب ثلاثة حيتان قاتلة، والتهمت كل ما في طريقها، وكانت تضرب بذيولها الرهيبة، وتقتل بلا توقف، فهي آلات قتل بلا رحمة، ولم تتركنا إلا بعد أن شبعت.

بعد أيام طاردتنا سفن البشر وشباكهم، واصطادت منا أضعاف أضعاف الحيتان القاتلة.. وانتشرت إشارات الرعب والفزع من أول سمكة في المقدمة إلى آخر سمكة، ولم يتركونا إلا بعد أن امتلأت سفنهم.

يا إلهي احفظني واحفظ فاطيما، ونجّني من البشر، ومن غيرهم، فإنّ الشوق يملأ قلبي إلى شواطئ الروح في مسقط رأسي.

في أيام كانت تصفو الحياة فينتشر الأمل والتفاؤل والغناء، أغاني الفرح والحب، وأيضًا الأغاني الدينية.. وأذكر أنّ كثيرًا من الرهبان أخذوا على عاتقهم أن يقطعوا الرحلة كلها صائمين، أو بقليل من الطعام.. إنها رحلة مباركة، وكل ضربة ذيل تقربنا من الوصول.. كانت عيناي تراقبان فاطيما، وكنت أعرف أنّ كل ما أراه أراه للمرة الأخيرة، فلا حياة لنا في المحيط مرة أخرى.. إنها الرحلة الأخيرة، رحلة الموت والحياة يا فاطيما فتشجعي.

سرت إشارات الفزع: أسماك القرش.. إنها رعب البحار والمحيطات.. هي الشيطان ذاته، سرب كامل من القرش اخترق مسيرتنا، فسبحنا بكل قوتنا وسرعتنا وخوفنا.. كانت مذبحة بطيئة.. وكان شعب الموكسا في مهب المذابح من قطاع الطرق..

لم تتركنا القروش حتى امتلأت بطونها. هل أبكي؟ وماذا يفيد البكاء؟ بحثت عن فاطيما بجنون حتى وجدتها، فصرخت بها: لا تبتعدي عني مرة أخرى.

❊ ❊ ❊

قابلتنا المياه العذبة لنهر الحنين، ونحن في البحر، فشممنا رائحة الوطن، فأخذتنا الحماسة رغم الجراح، ودخلنا النهر ونحن ثلاثة ملايين.. فقدنا أكثر من نصف الشعب في رحلة الحج الأولى والأخيرة لنا، وبدأت أجسامنا تهيئ نفسها للمياه العذبة.

نهر الحنين أجمل أنهار العالم في نظري ونظر ملايين شعب الموكسا، ولكنه أخطر من المحيط، فنحن نسبح ضد التيار القوي، ولا مكان للاختباء، فالنهر غير عميق، والبشر في انتظارنا بالشباك والسنانير، والمياه المتدفقة تحتاج كفاحًا، والشلالات التي ترتفع مترين تحتاج قوة السلمون الخارقة، قوة الأبطال. هكذا أخذنا نتقدم ببطء.. وكلما نظرت إلى فاطيما، عرفت حالي أيضًا، فقد أصبحنا جميعًا مختلفين، وفقد كل منا أكثر من نصف وزنه، وتغير لوننا من القرمزي الزاهي إلى لون فضي باهت.. صرنا كأننا هياكل عظمية، ولكن الكل يشتهي لحمنا.. إننا في رحلة مقدسة، ولكن لا أحد يهتم.

مئات الدببة الماهرة في الصيد تعترض طريقنا، وتقف في أخطر الأماكن، في منحدرات المياه، وحين يقفز السلمون يقع بين أنيابها فتمزقه حيًا وهو يتلوّى في جنون.

وقفت مع فاطيما قبل مسقط الرأس بقليل، وفجأة صرخت بها: اهربي اهربي، ولكن الدب الأسود الرهيب.. كان يطاردها ويطاردها حتى أمسك بها أمام عيني.. كان قلبي يتقطع وأنا أشاهد فاطيما بين أنيابه ومخلبيه، وهو يمزق جسمها الفاتن، ويأكل البيوض التي سافرت كل هذه المسافة لتضعها في مسقط الرأس.. إنه يأكل أبنائي.. صرخت فيه وبكيت وبكيت، ولم أعد أرغب في الحياة، وعضضت الدب في قدمه، ولكنه لم يهتم بي ووقفت أمام الدببة ولم يصطدني دب، كنت أود الموت لألحق بفاطيما، ولكني شعرت بروح فاطيما يؤنبني على استسلامي، فما أهمية الرحلة إذن؟.. لا بُد أن تنجو.

سرت بدون هدى واخترقت الشلالات والمنحدرات ووصلت أخيرًا إلى مسقط الرأس بلا فاطيما، ولكني تعرفت إلى سمكة أخرى وتزوجنا.. مات حبيبها أيضًا.. كنا متعبين حزينين وسعيدين، فرؤية مسقط الرأس وشم رائحته كان هدف الرحلة الأول.

وقفنا هادئين نتنفس بعمق.. وأخيرًا تقبلنا الأمر، وقلنا: هكذا الحياة.. وصلنا إلى خط النهاية.. وضعت زوجتي

الجديدة بيضها في مكان مناسب، فخصبته فورًا.. أدّينا مهمتنا في الحياة، وكل من مات في الطريق مات لأجل حمايتنا، لأجل المستقبل.

هكذا تقبلنا الحياة راضيين، ونحن نعرف أننا سنموت بعد أداء مهمتنا، فجعلنا همنا في الساعات الباقية شمّ أرض الوطن، فلا يوجد شيء في الحياة كلها يعادل جمال مسقط الرأس.

❊ ❊ ❊

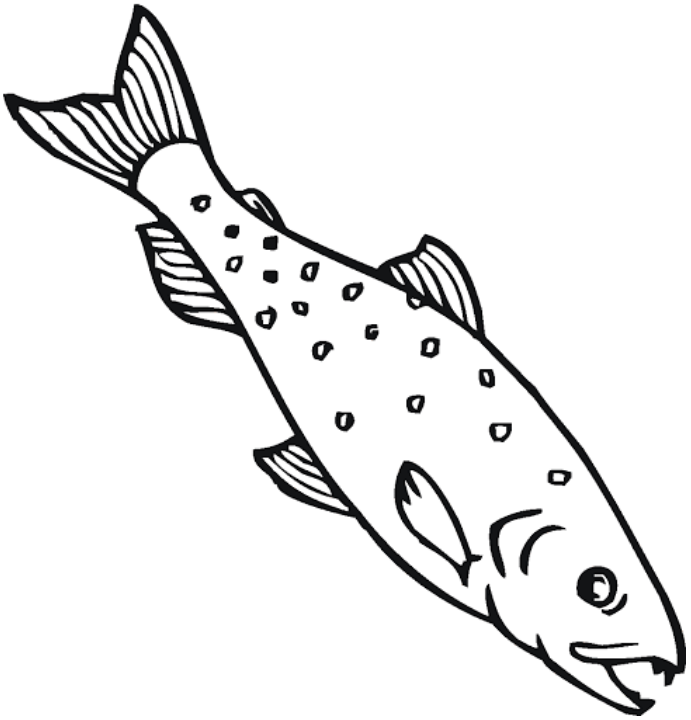

الموت لمن يتراجع

نوني نملة مستطلعة، وهي أول من صرخت: عدو في المنطقة.. انتقلت لغة الفورمانات تنقل أخبار الغزو من نملة إلى نملة، حتى وصلت إلى القائد الجبار نون، قائد الجيوش، فنظم الصفوف فورًا، وأمر قواد الفرق، وفرقة الموسيقى الحربية، بالتوجه إلى أرض المعركة، وصرخ بأعلى فورموناته: هجووووووووم، والموت لمن يتراجع.

اتجهت قوات النمل إلى أرض المعركة، وبدأت حرب طاحنة بلا شفقة ولا رحمة، ولا تراجع.. وبدأت قوة النمل الهائلة تظهر على أرض المعركة، حيث اكتسح جيش القائد نون الأعداء كالسيل.. اختلط الجيشان، ولكن المفاجأة أن نمل العدو امتصّ الصدمة، وصمد، وأظهر شجاعة فائقة، وانتشرت الجثث المطعونة والممزقة في أرض المعركة..

مائة ألف محارب ومحاربة من كل فريق في حرب شاملة هي الأخطر في تاريخ النمل منذ سبعة أعوام، وركزت القوات الخاصة لكل جيش على الوصول إلى الأميرات ذوات الأجنحة، الأميرات كنز النمل ومستقبله.

ثلاثة أيام متواصلة بلا راحة والحرب مشتعلة، والقتلى والجرحى بالألوف.. إنها حماقة كاملة، فالحياة تسع الجميع.. هكذا صرخت النملة نانو وهي تستريح قليلا، ولم تكمل كلامها، فقد انقضت عليها نملتان شرستان وجرتاها من تحت الصخرة التي تستريح تحتها،

وقطعتا أرجلها، وقصمتا جسمها نصفين، وتركتاها تموت ببطء.

كان صوت القائد نون يتردد هادرًا: الموت لمن يتراجع، وكان يطيح بكلابتيه بكل من في طريقه.. إنها حرب حتى النصر أو الموت.. ثم تراجع القائد قليلا، واجتمع بنائبه الشجاع نان، ورسم له خطة خطيرة لقتل ملكة العدو.. وبدأ التنفيذ: عشرة آلاف نملة انتحارية أخذت تحفر ثلاثة أنفاق طويلة للوصول إلى ملكة العدو من ثلاثة اتجاهات لضمان قتل الملكة.

يومان حتى تم الوصول إلى ملكة العدو، ودفع القائد نان آخر حصاة صغيرة في النفق الأول، وقفز على ملكة العدو، وتدفقت بعده الجنود كالسيل، وأخذوا في قتل الملكة، وجرّها إلى النفق.. كانت مفاجأة صاعقة للعدو عندما شاهدوا ملكتهم مقتولة في أرض المعركة، ولم تحدث هذه الخديعة بهذا المكر قبل ذلك في تاريخ النمل، فحلت الهزيمة بالعدو فورًا، ولم تعد أية نملة ترغب في مواصلة الحرب، ورفع القائد المهزوم ورقة بيضاء علامة استسلام، فهجمت جنود القائد نون على جحر العدو، واستولت على ألوف الخادرات، وكانت هذه أكبر غنيمة، فبعد أيام ستفقس البيوض نملا صغيرًا، ويتم استعباده في جيش القائد الجبار نون، وفي تنظيف المملكة.. وفي النهاية بدأت الاحتفالات بالنصر العظيم.

مأساة العجوز نجم

أعددت الصيادة، وهي الكاميرا زينت الروسية.. وضعت الفيلم ماركة كوداك في مكانه، وثبّته جيدًا، وأغلقت الباب الخلفي، وأدرت الذراع مرة، وضغطت زر التشغيل، فأصبحت الصيادة جاهزة تقريبًا؛ لأن كل لقطة تحتاج ضبطا خاصًا، فهي من ذوات العدسات المتحركة، وهي تعشق اصطياد النور والظلال.

فرحت الصيادة بالعمل، فهي متعتها في الحياة، وهي ضخمة وكأنها خرجت من عمق التراث، وتتعالى وتشمخ بأنفها على الأنواع الأخرى اللامعة، تلك الكاميرات الدقيقة الخبيرة، وتمط عدستها قائلة: ها ها، لا الياشكا ولا الكانون، ولا الأولمبوس التي تضاعف عدد لقطات الفيلم، ولا الكوداك رائعة مثلي، فأقول لها: يا صيادة هذا الكلام فيه مبالغة، فأعطالك كثيرة، وذراع رفع المرآة الداخلية أمام الستارة السوداء يفلت كثيرًا.. وهذه المشاكل تدفعني للذهاب إلى السيدة زينب بالقاهرة لإصلاحك في ورشة نبيل دنيا.

غضبت الصيادة وقالت: أنت تعرف سبب ذلك.. والحقيقة أنني أعرف السبب، وهي حكاية طويلة جدًا تدل على الخداع، والطمع والكذب، فأحد البشر أخذ الصيادة، وادعى أنها سرقت منه في القطار، وعادت بأعجوبة، مريضة ومتهالكة..

واسيت الصيادة، ودخلت إلى آخر البيت، بعد باب الوسط حيث قبيلة الديك كوكو فصيح، وقبيلة ذكر

الحمام ميام.. إنه مجتمع متماسك، وله قوانين تخصه.. وكان لا بُد أن أجد حيلة، لأستطيع تصوير كوكو فصيح وميام والحمامة ميمي، فأنا أصورهم كل فترة.. فملأت طبقًا بحبوب القمح، ونثرته في المكان، فالتمت الدجاجات والحمائم حوله، وكذلك كوكو فصيح ولكن بحذر بالغ.

ابتعد كوكو فصيح، ونظر إليّ شذرًا، وقفز على الفرن القديم المهدم، وأخذ ينظر لي متحديًا، ويكركر غاضبًا بصوته المميز، وفي كل كركرة تحذير واضح بالابتعاد عن الدجاجات، وترك المكان، ثم قال: أنت غير مرحب بك هنا. قلت: لماذا يا كوكو فصيح؟ قال: ربما تخبئ سكينا في ملابسك لتذبح أحدنا. قلت: لا. أنا لم أذبح طائرا في حياتي، كما أنني لا آكل الدجاج منذ سنوات، فأنا لست وحشا. قال: إذن ماذا تريد فأنا لا أصدقك؟ قلت: الصيادة ستلتقط بعض الصور. قال: صور ولا تطل.. شكرته وقلت: اقترب يا كوكو فصيح لأصورك.. قال: لا.. أنا أقف حيث أريد..

في هذه اللحظة هبط ميام بريشه الجميل، ونزل من فتحة السقف الواسعة واستقر على وتد في الحائط، وقال: أنت مرة أخرى. أنت تضايقني كثيرا يا حسين. أرجوك أنا أعمل من الصباح الباكر ولا أصحو متأخرا مثلك.. أريد أن أستريح قليلا بلا إزعاج. قلت: احتملني دقائق أيها الجميل ميام..

كانت الصيادة قد أغفت قليلا فأيقظتها: حان الوقت أيتها الصيادة.. فقالت: ضعني في الوضع الصحيح، وسأقوم بالباقي. صورت بعض الصور، ثم جلست قليلا أدرس الضوء والظل، فالشمس تسقط في شبه مربع شديد الضوء، وحوله ضوء متفاوت، يتدرج حتى يصير عتمة في الجوانب.. الوضع صعب جدًا.. هكذا قالت الصيادة.. قلت: نعم.

في الحقيقة أنا لا أصور بالفلاش، فالفلاش لعبة المبتدئين، أنا أصور عن طريق فتحة العدسة، والسرعة، والبؤرة، والحساسية، وهذه أشياء تخص العدسة المتحركة، ويفهمها المحترفون.

قالت الصيادة: صورت عشر صور، فيها ثلاث رائعة، وأربع جيدة، وثلاث سيئة جدًا، قلت: لا بأس نظرا للوضع.

* * *

كل ما سبق كان مقدمة لما سيأتي.. حيث تعرفت إلى مأساة العجوز نجم، عندما جلست قليلا على بعض الطوب المتساقط من الفرن البلدي القديم نجم، جلست في مواجهته تمامًا. أخذت أتأمله.. قضى كوكو فصيح حاجته على قبة العجوز نجم المكشوفة، فتأفف نجم.. كنت أظنه ميتا.. ذلك الفرن البلدي القديم جدًا، لكنه نائم

منذ خمسة عشر عامًا، أو عشرين عامًا.. لم يعد يحتاجه أحد، أو يهتم به، حتى أن كل من يحتاج طوبة لأمر ما، يخلعها من نجم، فظهرت قبته، وتخرب جسمه، كأنما هو إنسان قلبه مكشوف.. وهل يعيش إنسان بقلب مكشوف؟

أردت أن أتحدث معه قليلا: كيف حالك أيها العجوز؟ لم يرد. إنه حقا سؤال غبي، فحاله لا يسُرّ. أخذت أشجعه: إن حالك ما زال جيدًا أيها العجوز.. قليل من الإصلاح والترميم، ويمكنك أن تعمل على أكمل وجه، وأنت تعرف ذلك، فعرصتك ما زالت سليمة رغم أنها مشروخة قليلا من الجانب، ولكنها جيدة، ويمكن تغطية قبتك بالطين، لتحتفظ بالحرارة، ويمكن إخراج الكتاكيت من داخلك، والمحماة يمكن تنظيفها، وتحتاج فقط ثلاثين قالبًا من الطوب الأحمر، وتعود كما كنت.

تنهد العجوز نجم، ولم يرد.. إنه يتألم من جراحه منذ عشرين عامًا. وهو مجروح جدًا، ويعيش الخراب في قلبه.. بجوار نجم أثر على الحائط للكانون القديم الذي لم يعد موجودًا.

الحياة تدور ويصيبنا العمى، فننسى كل الأشياء الجميلة، هكذا فكرت، بعد أن تأملت قليلا، وتذكرت زمنا ردمه الزمن، كما تتحرك الكثبان الرملية في الصحراء، فتدفن قرى كاملة ببطء قاتل.. استيقظت طفولتي، وشممت دخان الفرن، ورائحة الخبيز،

ورائحة الطبيخ، وتداعت الذكريات، فأشفقت على نجم، وأردت مؤانسته، ولكنه رفض الكلام، ولم ينظر ناحيتي.

❊ ❊ ❊

عندما طالت جلستي دون أن يرد نجم على كلامي، أردت أن أستفزه، ليصحو من نومه، ويتكلم معي، فأخذت أمدح الفرن الصاج الذي حلّ محله جزئيًّا، فقلت: إنّ الفرن الصاج رائع ونظيف، وبلا دخان، وصحي أكثر.. هو التقدم والتكنولوجيا، فقال فجأة: هل جئت هنا لتعذيبي؟ أتسمي تلك اللعبة التافهة، شغل العيال، فرنًا؟ افرحوا بالتكنولوجيا، ودعني فأنا لا أحبّ أن أتكلم معك، فلا علاقة لي بالرجال، إن الرجال يقومون ببنائي، ولا أعرفهم بعد ذلك.. أنا أتكلم مع النساء والنساء تعرف لغتي، أو كُنّ، فكل هذا من الماضي والزمن نسيني، والنساء الآن يستخدمن الفرن الصاج، بل أصبح الجميع يأكل من الطابونة، وهذا عار وأي عار.

قلت: مرحبًا، هل صحوت يا نجم العجوز؟

قال: أنت السبب، أنت مررت بجواري ألوف المرات، ولم تهتم بي، وأنا تاريخ وتراث.. أنا عاشق النار الأول في العالم، فالنار حياة بداخلي.

أخذ نجم يسعل، ويغضب رويدًا رويدًا حتى ظننت أن بقاياه ستتهدم، وواصل تأنيبي: أنا سبب الحضارة، فالخبز حياة، والآن رأيت بنفسك كوكو فصيح يقضي حاجته فوقي بلا خجل، وهو وأمثاله كانت تضوع رائحتهم بداخلي، وتملأ البيت والمكان. هل تذكر لحم الجدي خوخ في عيد الفطر؟ قلت: نعم نعم، أشهى لحم أكلته، قال: لقد سويته جيدًا بداخلي حتى جف وظل شهرًا بحالة طيبة بدون ثلاجة.

- أيقظت زمنا مضى يا نجم.

قال: قلت لك، أنا تاريخ، استعملني الملوك على مدار ألوف السنين، وما زال إخوة لي في أماكن نائية يعملون بجد، وتضحك النار بداخلهم.. هل خبز الطابونة مثل خبزي؟ لن أتكلم فليحكم أي عاقل.. رائحة خبزي كان يشمها الناس على مسافة عدة بيوت، إنها أجمل رائحة في العالم.. ولا تسل عن الفطير المشلتت، ولا طواجن البطاطس، أما صينية الرز المحمّر بعد الخبيز، فأنا أؤكد لك.. شكلها ورائحتها كانت فخرا لمصر، ويمكن لمصر أن تفوز بها في أية مسابقة للرز في العالم، ومكوناتها هي البساطة عينها: رز وسكر ولبن، وبعض الزبد البلدي على السطح. هل تذكر يا حسين؟

تنهدت حنينا، وقلت: أذكر أيها العجوز نجم.

فتابع: أما الذرة المقلية، فلن أحدثك عنها، فأنت تعرف الفرق بين قلي القوالح، وقلي الفرن البلدي.. أنا كنت صاحب الفرح، وأنا السيد في كل الأفراح.. وفي الأعياد أنا كنت سيد الموقف، تضحك النار المقدسة في داخلي، وكنت احتفظ بالدفء فترة طويلة.

هل صينية الرز التي كنت أعمل عليها بحب وإخلاص، مثل تلفيق الفرن الصاج، أو أية لعبة من لعب التكنولوجيا التي ذكرتها؟

قلت : اهدأ يا نجم، فقد كسرت قلبي، فأنا تقريبًا مثلك، أعيش في زمن غير زمني.

قال: أنا لا أصدقك، فنحن في بيت واحد، منذ ثلاثين عامًا ونيف، هل اهتممت بي منذ عشرين عامًا؟ أنت شاركت في تحطيمي. هل تعرف آلامي؟ هل صورتني يومًا؟ هل كتبت قصة عني، ألم أستحق ذلك؟ أنا الذي خدمتكم سنوان وسنوات. هل تذكر الفرن القديم في طفولتك في ليل الشتاء، عندما كنت تنام فوق القبة الدافئة، مستلذًا بفرحة الدفء..

قلت: أتذكر كل شيء يا نجم.

قال: هل تذكر الأفران البلدية التي كانت تخدم حارة أو عدة بيوت؟

قلت: نعم. إن تاريخ قريتي يتجسّد في روحي الآن بسيطا ورائعًا، وإنسانيًا.

قال: نعم إنسانيًا.. كانت الإنسانية في قلوب الجميع تقريبًا. تكلمي أيتها العرصة، وقولي للشاعر كيف كانت صناعة العرصات صناعة مزدهرة.. فقالت العرصة: دعني يا سيدي، وتكلم أنت.. فتابع العجوز نجم: من أجود الطين الذي يتخمر كثيرا، وكان صانع العرصات فنانًا في عمله، والعرصات دوائر من الطين السميك النقي، كان يتم صناعتها بدقة وحرقها، وبعد ذلك يدور بها الباعة على القرى، ولا تنس أن صناعة المطارح كانت مزدهرة، والمشنات التي يوضع فيها الخبز، والأسبتة المصنوعة من البوص البلدي والتي كانت مخصصة للفطير المشلتت، والنشو والعود لتنظيف العرصة، وإخراج الخبز، والطبالي الخشب لعمل الفطير والرقاق، ولا تنس البناء الذي يُبنى، وزكائب الطحين.. عالم كامل يا حسين انتهى، وأصبح أنتيكات .

قلت: نعم أيها العجوز نجم، ولكن هل تذكر من بناك؟

قال: كيف أنساه؟ إنه محمد المخبر، الذي ترك جزءًا من روحه في بنائي.

قلت: كان شخصية غريبة، عاصر سعد زغلول وهو طفل، ومات منذ أكثر من عشرين عامًا، وكان يمتهن مهنة خاصة.. يبني الأطواف الطينية لحماية الحقول،

أو يصنع الزرابي أو المصاطب، أو الأسوار، أو يرمم حائطًا، أما الأفران فكانت تخصصه.

قال نجم: وهو ينظر نظرة عميقة: رحمه الله. إنه ما زال يعيش معي، ولن يموت حتى يسقط آخر حجر أو طوبة بناها في أي مكان.

قلت: صدقت أيها العجوز نجم. فالزمن خطير، وقد ردم مرور الساعات والأيام والسنوات أشياء كانت أساسًا في الحياة، فالسواقي الهادئة الوقور فعل بها الزمن ما فعل بك، فلا توجد ساقية واحدة في المنطقة، ولن أتحدث عن الشادوف، والتابوت، والنورج، والمذراة، والدراية، والمحراث البلدي الكبير، والقصابية، والبتانة، والزحافة، والناف، والهدية، والدشيدة، والغما، والغبيط والشعبة، والشنفة، والزير، والأباريق والقلل، والحصير البلدي.. توجد طرائف ما زالت من بعضها..

قاطعني نجم وقال: كفى، كفى. أكل هذا لم يعد موجودًا؟

قلت: بعضها موجود في المتاحف الزراعية، ولن تصدّق – إن بعضها موجود في قصور بعض الأغنياء الذين يحبون التراث أو الفنانين، ولكن أقل القليل يا نجم هو الذي نجا من زمنك.

قال نجم شغوفا: ما الذي نجا؟

قلت: الفأس والمنقرة، والمحراث الصغير الذي تطور قليلا، ويستخدم في عزيق الذرة في العزقة الأولى، كما نجا الشقرف والشرشرة، فقد أثبتا قدرتهما أمام الآلات الحديثة التي لم يرض عنها الفلاحون، وأعجب شيء أنّ الشادوف موجود، ويمكن أن يراه الإنسان كل عدة سنوات يروي أبياتا صغيرة من الجرجير أو الملوخية أو البامية، على شاطئ الريّاح التوفيقي، والحمير والبهائم ما زالت موجودة طبعًا، ولكن أقل، وتجر الحمير الآن العربة الصاج بدلا من حمل الغبيط.

تنهد العجوز نجم، وأجهش بالبكاء، فخرج بعض الغبار من الشاروقة،

وقال: اقتلني يا حسين، فلم أعد أحتمل، أرجوك اقتلني.. فقلت: أنا لست قاتلا أيها العجوز نجم، كما أنني لا أملك فأسًا، وهي أداة القتل المناسبة، ولكني أملك - ولن تصدق ذلك - أملك مسطرين ومحارة..

فتح نجم عينه وقال: ماذا تقصد؟ لا تلعب بمشاعري، فأنا أعرف المسطرين فهو أداة البناء الأولى، وكان مطواعًا في يد محمد المخبر.. لا تعطني أملا زائفا.

قلت: سأعيد بناء ما تهدم منك وسأعيدك أجمل مما كان.. عدة ساعات من العمل، وستصبح ملكا .

شهق نجم من السعادة،

فقلت : سأنظف المحماة وأجعل النار تضحك بداخلك مرة أخرى، ولو من أجل المتعة فقط، وقد أعود لأنام فوقك أحيانًا.. وهذا وعد يا نجم.

فقال: صوّرني ألف صورة، واكتب قصتي.

فقلت: ما رأيك أيتها الصيادة؟

كانت زينت الروسية حزينة من مأساة نجم، وهي تعرف المأساة جيدًا، فلها مأساتها الخاصة.

فقالت : غدًا، فقد غابت الشمس عنه، والضوء لن يكون كافيًا لإظهار مأساته بدقة، إنه مثالي للتصوير، فعيناه عميقتان، والشاروقة العليا، والمحماة السفلى، ستعطيان ظلا ممتازا، والطوب، أي طوب في أي مكان هو رائع في التصوير، يحتاج نجم بعض الرتوش القليلة قبل التصوير، لنحفظ له مهابته وتاريخه.

ابتسم نجم محرجًا.

قلت: سأكتب عنك يا صديقي، يا صاحب القلب المحطم، رغم أنني كرهت الكتابة يا نجم، فأنا أكتب منذ عقود، وكأنني أصلي، ولكن صلاتي كلها صارت ذنوبًا.. ولم تقبل صلاة واحدة.. ولكن غدًا يا نجم ستصورك الصيادة، سأصور فيلما كاملا عنك.

قال نجم: لن أصدق ما وعدتني إلا عندما أرى.

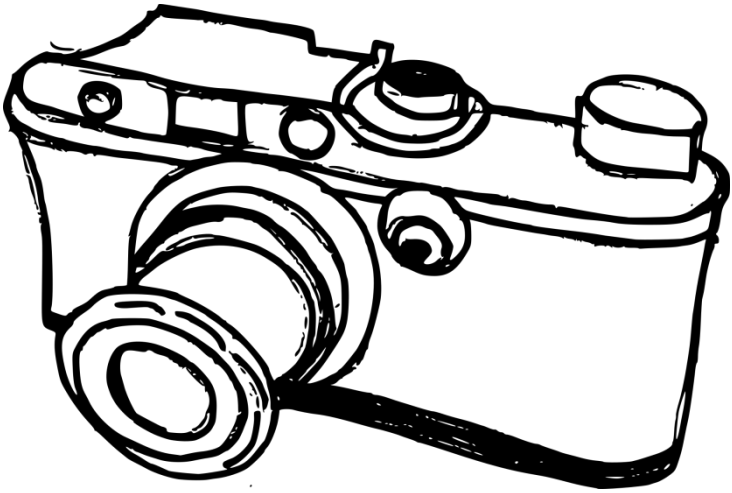

في اليوم التالي بعد الظهر دخلت لأصور نجم، وأخذت معي المسطرين لأبث الأمل في قلبه، فوجدته مهدّمًا بلا شفقة، وتلهو الدجاجات فوقه، فصرخت من كل قلبي: من فعل ذلك؟ ولكن كوكو فصيح رفع صوته: اخرج اخرج، إنك تخبئ سكينًا.. أنت قاتل، فكدت أن أضربه، ولكنه وقف متحدّيًا، فآثرت السلامة، وانسحبت لأكتب مأساة نجم.

❊ ❊ ❊

عملية تجميل قاتلة

معظم البشر يعرفون أن ذكر الحمام أجمل من الأنثى، وهذه نظرة بشرية جاهلة ومضحكة في نظر الحمام؛ لأن زغاليل الحمام تعرف، وأصغر زغلول يعرف أن أنثى الحمام هي أجمل وأرق أنثى على وجه الأرض، وفي الكواكب الأخرى لو فيها حمام.

والحمامة ميمي نجمة في عالم الحمام، والكل يتمنى كلمة منها، فريشها أنعم من الحرير، وعيناها أجمل عينين في الوجود، ومنقارها فاتن، ومخلباها قرمزيان ساحران، ولا تجرؤ ذرة غبار أن تقترب من ريشها، وهي ناصعة لامعة دائمًا كما يليق بنجمة مشعّة، ولكنها بكل أسف مهووسة بشكلها، وغير واثقة من نفسها، وهي لا تكف عن الاستحمام في النهر القريب.. وهذا الحال أصبح يضايق زوجها ميام، فهو يحب العمل والحياة الهادئة البسيطة، وميمي تلومه دائمًا، مع أنها تزوجته بعد قصة حب هي الأكثر شهرة في مملكة الحمام.

أصرّت ميمي على إجراء عملية تجميل، وأخذت تلحّ يوميًّا، وساعة بعد ساعة على ميام، وميام يخبرها أنها جميلة جدًا، ولا تحتاج أية عملية، ولكنها تقول: أحتاج نزع ريشة من خلف الجناح الأيمن، وريشة من خلف الجناح الأيسر، ونزع ريشتين من الذيل..

صرخ ميام: هذه عملية خطيرة، وسوف تؤثر على طيرانك، قالت: لا يهم. المهم أن أكون جميلة، وعندما

وجد ميام أن المجادلة لن تنفع سألها: ومن سيجري هذه الجراحة؟ قالت: القط باسو. صرخ ميام مرة أخرى: إنه وحش، ويشتهي لحمك، قالت: لا يا حبيبي.. لقد تغيّر تمامًا، وأصبح يوجيًّا نباتيًّا، ولا يأكل إلا الفئران الميتة أحيانًا.. رفع ميام جناحه غاضبًا: من أخبرك بذلك الكذب؟ ردت في هدوء: العصفور صاصوه. قال ميام: إن العصفور صاصوه محتال.. هل يعمل لصالح باسو الآن؟ قالت ميمي بنفاد صبر: أنت لا تعرف شيئا، ولا تعرف الحياة المعاصرة، فباسو أشهر جراح في مصر، وهو يؤلف الكتب في اليوجا وضبط النفس.. باسو هو موضة العصر، كما أنه لا يأخذ أجرًا عن عمله، وينشر تعاليم المحبة والسلام أينما ذهب.

أيتها المجنونة.. لقد رأيت باسو بعيني يأكل فأرا في نصف حجمه، وكان يسترحمه بلا فائدة، وهو يتجول في المنطقة ويضرب القطط الصغيرة، ويسرق طعامها، وهو لا يخاف من الكلب الرهيب عيطة شخصيًا.. لقد رأيته يقوّس ظهره، وينفش شعره، ويبرز أنيابه حتى أن عيطة آثر السلامة، وتركه.. هل تستسلمين لهذا الوحش ليجري لك تلك العملية الخطيرة، هل أنت مجنونة؟

- أنت متخلف يا ميام، ولا تعيش في هذا الزمن. ما فائدة الحياة بدون عمليات تجميل؟ بل إنني بعد هذه العملية، سأجعله يقلّم مخلب قدمي اليسري.

صرخ ميام: لو فعلت ذلك فهذا فراق بيني وبينك إلى الأبد. ردت ميمي: فليكن، فلن أعيش مع زوج لا يجاري العصر، ويعيش في نهاية التسعينيات من القرن الماضي، ونحن في نهاية العقد الأول من القرن الجديد.

* * *

لم تطاوع ميام نفسه أن يترك حبيبته تذهب للوحش وحدها، فذهب معها وهو غاضب جدًا، ومستعدٌّ لمعركة مع باسو، فلا يستهين أحد بذكر حمام قوي وعاشق، ومنقاره حاد.

كان باسو نظيفا ممشط الشعر، ينظر نظرات حانية، وكلها مودّة وحب – مرحبًا يا ميام، مرحبا أيتها الأخت ميمي.. تعالي إلى هنا. إنها أبسط عملية في تاريخ الجراحة.. لا تخافي.. كان باسو يعيش خلف عشة الدجاج في مكان بين الحائط ورصة من الطوب الأحمر القديم.

اقتربت ميمي وقالت: انزع هاتين الريشتين، والريشة اليمنى، والريشة اليسرى من الذيل، واستكانت بين مخالبه، وبدلا من نزع الريش، قرب أنيابه من رقبتها، فهاجمه ميام، ونقره بين عينيه صارخًا: اتركها، وجذب ميمي بمخلبه، فصاحت في وجهه: ما هذا أيها المتخلف؟ ثم ذهبت مرة أخرى بين مخلبي باسو الذي

قال: لا بُدّ أن أمسكها من رقبتها حتى لا تتألم.. هكذا تكون العملية يا صديقي ميام. ألم تشاهد عملية تجميل من قبل؟.. قالت ميمي: ابدأ العملية أيها الجرّاح العظيم. فأمسكها من رقبتها، وفي لمح البصر قطع رأسها، وبدأ يأكلها مستمتعا وجرّها داخل جحره، بينما ميام يصرخ ويرفرف بجناحيه حزينًا: ماذا فعلت أيها القاتل المتوحش؟ رد باسو: لا شيء.. لقد فشلت عملية التجميل، والحوادث تحدث، ومن يومها وميام يهدل بصوته الحزين وحيدًا، ويقسم أن يقتل العصفور صاصوه الذي أغراها بهذه العملية.

❊ ❊ ❊

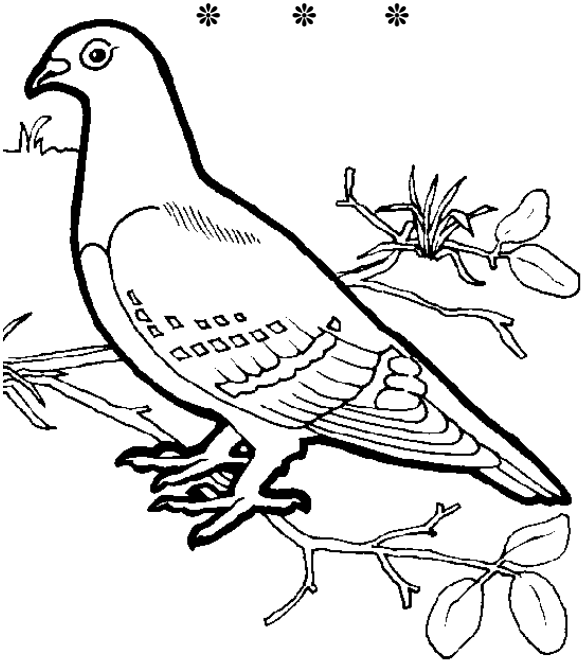

العفريت شيش

كنت أجلس بين النوم واليقظة بعد وقت العشاء، فانتبهت إلى نسمة هواء تدخل من الشباك المفتوح، ورأيت عفريتا يقف في وسط الحجرة، ويعدل هيئته التي انبعجت قليلا حينما دخل من بين حديد الشباك.. قال: السلام عليك أيها البشري. وعليك السلام يا أخي. هكذا رددت عليه السلام وأنا أتأمله.. ولو قلت لي ما شكل ذلك العفريت سأقول لك: إنه مثل العفاريت تمامًا، وشكله مثل شكل الإنسان، ولكن جسمه من السحاب الأبيض، ويربط قطعة من السحاب الأسود على عورته، وكانت أشعة المصباح الكهربائي تخترق جسمه، وتصنع قوس قزح في جسمه، وهو بهذا الشكل كان يتدفق بالسحر، فهو وسيم جدًا، وأجمل وأرق من أي إنسان في تاريخ البشر.

قال : لماذا لا تخاف مني أيها البشري، فالبشر يخافون من العفاريت دائمًا.

قلت: أنا لا أخاف من أي عفريت، ثم إنك بدأت بالسلام، فلماذا أخاف منك؟ وشكلك رائع، ولا يدل على الشر، وقد ظننتك سحابة ضلت طريقها إلى حجرتي، واعتقدت أنني أحلم، لأنني كنت أحلم قبل أن تدخل حجرتي، كما أنك لست مخيفا أبدًا، ومن تعامل مع البشر لا يخاف حتى من الشياطين.

فقال: أنا عفريت، أنا عفريت، ألا تدرك معنى ذلك؟

فقلت: شكلك مضحك جدًا، وأنت تحاول إخافتس.

فجلس على مقعد وقال: أرجوك أن تخاف مني، أتوسل إليك، حتى أقول عندما أعود إلى الشيش: إنني أخفت البشر.

فقلت: أنا خائف جدًا منك.. أنا مرعوب.

فابتسم قائلا: هذا جيد، يمكن أن أستريح الآن..

قلت: من أنت، وماذا تريد؟ هل أنت تائه؟

قال: أنا العفريت شيش.. قائد جيش العفاريت شيش، وقد سمح لي الإمبراطور شيش المعظم أن أزور البشر ثلاث ساعات لأتعلم منهم بعض فنون القتال؛ لأننا في حرب كبرى مع إمبراطورية سيجا. وهي إمبراطورية الجن، ووجدتك ساهرًا، وأنت أول من أقابله، فأرجوك علّمني طريقة قاتلة لهزيمة إمبراطورية سيجا.

قلت:أين تعيش؟

قال: نعيش قريبًا منك بجوار النيل.

قلت: هل اسمك شيش، والإمبراطور اسمه أيضًا شيش؟

قال: نعم.. كل عفريت في الإمبراطورية اسمه شيش.

قلت: وما عددكم؟

قال: سبعة مليارات، وعدد السيجا أيضًا سبعة مليارات، وكل فرد من الجن اسمه سيجا، وهذا أمر طبيعي تمامًا.

فضحكت: هذا غريب جدًا، وكيف تعرفون بعضكم البعض؟

قال: عن طريق نغمة النداء، والصوت المختلف.

وقال: ما اسمك أيها البشري الذي خاف مني حين رآني؟

فقلت: حسين.

قال: وهل كل البشر اسمهم حسين؟

قلت: لا. لكل إنسان اسم مختلف.

فتعجب شيش، وقام من على المقعد من شدة التعجب.

- وما اسم أبيك؟

قلت: أحمد.

- وجدك؟

قلت: إسماعيل.

- وإخوتك ؟..

ذكرت أسماء إخوتي، وأصدقائي جميعًا، وشيش مندهش تمامًا مثل الأطفال، وأخذ يسألني عن أسماء جيراني ويضحك ضحكًا متواصلا، حتى سقط على الأرض وأخذ يتقلب من شدة الضحك، ويضرب الهواء بقدميه.. حسين بن أحمد بن إسماعيل، وواصل الضحك.. هذا أعجب شيء سمعته في حياتي.. لم يخبرني أي عفريت بذلك من قبل.. لكل إنسان اسم مختلف.. أنتم عاهات حقيقية أيها البشر.. أنتم مضحكون.. هل تضيعون حياتكم القصيرة في حفظ أسماء بعضكم البعض، إنكم خطيرون حقا.

قلت له: شكرا يا شيش. هل جئت لتهزأ بالبشر؟

قال: لنا الحق أن نخاف منكم نحن معشر العفاريت والجن..

قلت: هل تخافون من البشر؟! فشعر أنه أخطأ.. وقال: نعم.. وهذا سر يا حسين.. نحن نخاف من البشر. وقد أتيت ليلا حتى لا يرعبني إنسان، لذلك أوصاني مجلس قيادة شيش عندما أقابل إنسانا أن أصرخ في وجهه: أنا عفريت.. أنا عفريت.. وأنا أرجوك لو قابلت أي عفريت يومًا، فلا تبُح له بهذا السر أبدًا أبدًا، فأنا القائد الأعلى للعفاريت، ويجب أن يخاف البشر مني، فأنا أشجع عفريت في الإمبراطورية.

قلت: لا تخف.

قال: هل تدلني يا حسين بن أحمد بن إسماعيل على طريقة لهزيمة إمبراطورية السيجا، فهم جن متوحشون، وبدائيون، وقد راقبتك قبل أن أزورك بساعة، ووجدت أنك تكتب وتؤلف.

قلت: لا بُد أن أعرف سبب هذه الحرب، وما هي الأسلحة المستخدمة؟.. قل لي كل شيء لأستطيع مساعدتكم.. ولكن

أيها العفريت، لقد أخذنا الكلام، ونسيت أن أقدم لك واجب الضيافة حتى لا تظن أن البشر بخلاء.. ماذا تأكل أو تشرب؟

قال: نحن لا نأكل مثلكم؛ لأننا مخلوقون من السحاب.. أما ألذ وأفضل طعام عندنا فهو المياه، كما أننا نشرب أبخرة المشروبات..

قلت: سأعد لك قهوة لتشرب بخارها.

قال: لا.. إن مشروبنا المفضل هو بخار الكاكاو الساخن.

قلت: اجلس مكاني أيها الشيش يا صديقي الجميل، وشاهد التلفزيون حتى أعد كوبين من الكاكاو الساخن، وأعطيته الريموت كنترول.. وفكرت: سأترك له فرصة ليشاهد القنوات الفضائية..

* * *

وضعت السكر والكاكاو في الكوبين إيزيس وحتحور، وغليت الماء في الغلاية ممتاز وأحضرت زجاجة الماء

موجة من الثلاجة صوفي، وأحضرت الكوب نعناع فارغا.. صببت الماء المغلي في إيزيس وحتحور ووضعت كل ذلك على الصينية عزيزة، وعدت إلى العفريت شيش، فوجدته يشاهد أفلام الكرتون ويضحك سعيدًا.. شرب كوب الماء البارد. وقال: إنه شيش لذيذ، وبدأ يتذوق بخار الكاكاو. مهمهمًا بصوته الجميل: هذا الكاكاو شيش جيد.

ثم قال: اسمع يا حسين سأحكي لك:

أعمارنا طويلة جدًا، إنها ألوف السنوات، لذلك فحروبنا طويلة، وتفسد علينا حياتنا، ومتعتنا في الحياة، والتي هي تأليف القصص وسماعها في مجالس عامة، وتأليف النكت والألغاز، وهذا أعظم ما في حياتنا. وعندنا مسابقات يومية، ولجان تحكيم شديدة، فإذا اهتزت اللجنة طربًا لقصة جميلة، أو نكتة رائعة، أو لغز محير، يفوز المؤلف.. إننا نعيش لهذا الغرض.

قلت: وما جائزة الفوز؟

قال: أعظم جائزة حيث يتم ترتيب زيارة خاصة للفائز إلى الملائكة لتتهذب حواسه ومشاعره.

قلت: وما طول أعماركم؟

قال: سبعة آلاف سنة لا تزيد ولا تنقص يومًا. وطعامنا الماء وأبخرة الكاكاو كما قلت لك، وشرابنا

النور والهواء، وهذه الحياة الرائعة تفسدها الحرب الدائرة بين الشيش والسيجا.

قلت: وكيف بدأت الحرب؟

قال: إنها قديمة جدًا، منذ سبعة ملايين سنة، فالسيجا الكبير قال للشيش الكبير: أفسح الطريق يا سحاب.. وهذه جريمة لا تغتفر.

قلت: أفسح الطريق؟

قال: لا، بل يا سحاب، فالشيش اسمه الشيش، ولا يحق لأحد أن ينادى الشيش بأي اسم آخر.. وهذه القوانين صارمة.. غضب الشيش الكبير، وجمع جيش الشيش، وبدأت الحرب العظمى منذ ذلك الوقت، وهي نصر وهزيمة، أو هزيمة ونصر. ونحن الآن مهزومون.

قلت: سبعة ملايين سنة طويلة جدًا!!

قال: طويلة، ولكننا نستريح كل عام من الحرب سبعة أشهر، ونحارب خمسة أشهر.

قلت: وكم عدد القتلى؟

قال الشيش في دهشة: لا أحد، فلا يسمح لأحد بقتل أحد أبدًا أبدًا، ماذا تظن؟ هل نحن بشر؟!

ثم فكر قليلا وقال: هل فعلا تقتلون بعضكم بعضًا فعلا، أم أنّ هذا تمثيل مثل أفلام الكرتون؟

قلت: إنه تمثيل في تمثيل، فلا تشوه صورتنا عند الشيش.. اسمع أيها العفريت الجميل: إن قتل إنسان لإنسان أصعب من دخول الفيل في خرم الإبرة.

فقال: هذا أمر سهل جدًا.. أنا أستطيع المرور من خرم الإبرة بسهولة.. حتى لو كان ضيقا جدًا.

قلت: أنت لا تستطيع.

فقال: أنا العفريت شيش أتحداك، فأنا أستطيع المرور من أي خرم.

فأتيت بإبرة صغيرة، فأخذها مني، وأمسكها بأصابعه، ثم جعل نفسه خيطا رفيعًا جدًا من السحاب، وتدفق بسرعة من خرم الإبرة، فتعجبت، وصفقت له.

وقلت: إذن كيف تتحاربون؟

قال: كانت الحرب الأولى رهيبة إلى أقصى حد، حيث جلس جيش الشيش، وأعطى ظهره لجيش السيجا.

قلت: يا للهول!! وماذا فعل جيش السيجا؟

قال: إنه أشدّ عنفًا، فقد فعل مثل جيش الشيش، وأعطى ظهره لجيشنا القوي.

قلت: هذه حرب عنيفة فعلا..

قال: استمرت يا صديقي مليون سنة، حتى أفسدت حياتنا.

قلت: وهل هناك أسلحة أشدّ من تلك الأسلحة؟

قال: نعم . نعم. اخترع العالم العظيم شيش سلاح الحرب التالية الذي دمر إمبراطورية السيجا، ولكنهم تعلموا، وحاربونا به أيضًا.

قلت: ما هو؟

قال: كان جيش الشيش يواجه جيش السيجا، ويخرج كل شيش لسانه ليغيظ سيجا.. لقد دمرناهم تمامًا، وجعلناهم يبكون مليون سنة.. وهذا تاريخ يستطيع حتى أي طفل شيش أن يحكيه.

قلت: وماذا فعلوا هم؟

قال: لقد تعلموا هذا السلاح الرهيب.

قلت: ما هي الأسلحة الأخرى؟

قال: أفظع سلاح بعد ذلك اخترعه السيجا، بكل أسف، وهذا يناسب المتخلفين.

قلت: وما هو؟

قال: وقف جيش السيجا، وأخذ يشتم جيشنا، وهذا شيء لا يمكن احتماله.

قلت: وماذا قالوا لكم؟ وماذا فعلتم؟

قال: قالوا لنا: يا ضباب.. يا سحاب. فظل علماؤنا يعملون بلا كلل حتى اخترعوا سلاحًا مضادًا، فرددنا عليهم بشتيمة رهيبة فقلنا: يا سيجا يا مربعات يا شطرنج الفلاحين.. واستمرت هذه الحرب طويلا طويلا، ملايين السنين.. خمسة أشهر كل عام، ونحن لا نحتمل كلمة سحاب إنها تدمر نفسيتنا، خصوصًا الأطفال، كما أنها أول شتيمة للشيش الكبير.. وهؤلاء الجن سيجا بدائيون جدًا، ولا تؤثر فيهم الشتيمة، كما تؤثر بنا.. أرجوك هل عندك سلاح فتاك؟

قلت: أيها العفريت شيش.. أنت أروع عفريت قابلته، وسوف أقف بجوارك، بكل ما أملك من خبث، وسأقف في صف العفاريت ضد الجن من أجلك، فصفق بيديه فرحًا.. أيها الشيش: هل رأيت إسماعيل ياسين؟

قال: نعم رأيته منذ دقائق، كما أنه مشهور عند الشيش الصغار، ولا أعرف كيف حصلوا على أفلامه؟!

قلت: هل رأيت الحركة التي يفعلها بفمه الواسع، والصوت الذي يفعله بفمه.

قال: نعم. نعم إن الشيش الصغار يحبونه جدًا.

قلت: افعلوا مثل إسماعيل يس في مواجهة السيجا.

قفز العفريت شيش سعيدًا،

وقال: كيف لم أفكر في ذلك؟.. إنه سلاح النصر.. سلاح رهيب جدًا، ولن يستطيع السيجا تقليده إلا بعد ملايين السنين.

قلت: سأعطيك سلاحًا آخر يا صديقي، أشد رعبًا مما سبق.

فقال: هل يوجد أشد رعبًا من سلاح إسماعيل ياسين؟

قلت: نعم.

قال: وما هو؟

قلت: هل رأيت حركة ميل جيبسون في فيلم القلب الشجاع.

قال: لا.

قلت: قفوا في مواجهة جيش السيجا، ثم استديروا فجأة، واكشفوا عن مؤخراتكم في وجه السيجا..

صرخ العفريت شيش: يا للهول: هذا أفظع سلاح في العالم.. سيدمر السيجا.. إنه سلاح بشع.. أنتم بشعون أيها البشر.. هذا أبشع سلاح في التاريخ.. إن الشيش يشكرك يا حسين.. وستصبح مخلدًا في تاريخ الشيش،

وستكون مستشارا لنا دائمًا، والآن وداعًا يا حسين بن حسين بن حسين.. وانطلق العفريت شيش كسهم، وخرج من النافذة.

فقلت: وداعا يا شيش بن شيش بن شيش.

❊ ❊ ❊

الزعيم عيطة

الكلب عيطة أصبح زعيما للكلاب، وهذه الزعامة لم يكن يفكر فيها، أو يحلم بها، ولا الكلاب تخيلت ذلك، ولكن العجائب تحدث في الحياة، وهذه إحدى العجائب: عيطة هو الزعيم. ولكن ما حدث يستحق أن نحكيه.

كان الكلب روح المتميز جدًا، والذي تزوج ذئبة هو الزعيم، ولم يخطئ مرة واحدة في معركة، أو في حماية أتباعه، أو في تحديد طعام جيد في مكان بعيد غامض، فحاسة شمّه كانت متطورة، كما درّب نفسه تدريبًا شاقا في شبابه، فتميز بقدرات خارقة، ولكنه مات فجأة، وقد حزن عليه الجميع حتى عصابة تيتو المنافسة، فروح كان يمكن التفاهم معه، وحكايته مشهورة.

والكلب ركس كان نائب روح، وركس وحش أصيل، وكان يرعب كلاب البيوت، باختصار كان جديرًا بمكانته، وكان ترتيب عيطة هو الثالث في عصابة روح المسيطرة، وهو لا يعرف الرحمة ولا التفاهم، ويسير واثقا من نفسه، كما أنه جاهل بالسلوك المهذب، ويفعل ما يريد.

تألم عيطة لموت صديقه المحترم جدًا، وأعظم كلب في تاريخ الكلاب من خمسين عامًا. مات بسهولة، أو كما يقال: مات بطريقة فجائية.. قتله الحب، ذلك الذي تزوج ذئبة، أحب الكلبة مشمشة، والتي لا تملك أية ميزة، ولو رأيتها لظننتها مريضة.. ولكنها أوقعت

الزعيم في شباكها بهوهوتها الخادعة، وكانت تتهرب منه، وملكات الجمال كنّ يتمنين نظرة أو هوهوة من الزعيم، ولكنه أحب مشمشة المخادعة.

غضب عيطة منها وقال: لولا احترامي لذكرى الزعيم لمزقتها بأنيابي لأنها السبب في قتله.. كان يسير على الجسر، وعندما رآها جرى بلا وعي خلفها، فصدمته سيارة مسرعة، ولم تتوقف، وكأنها صدمت شيئا بلا قيمة.. إنه روح أيها البشر المتعالون القتلة.

* * *

بعد موت روح رفض ركس تولي الزعامة، وأصابته حالة من الحزن العميق، واعتزل الحياة، وربما أصابته لوثة، فلم يعد يعرف أحدًا، وإذا تكلم أحد معه يجده غير منتبه، حتى أن عيطة خصص له كلبين يحرسانه ويلازمانه وفاء له.

ظلت عصابة تيتو تتحيّن الفرصة، وظن تيتو أنه سيصبح الزعيم فعصابته قوية، وتتكون من ستة كلاب، وأخذت تعامله على أنه الزعيم الأول، بعد موت روح، واعتزال ركس، ومشكلة تيتو أنه عاش فترة طويلة من حياته كلبًا بيتيا، وأخذ اسمه من صاحبه تيتو، قبل أن يتركه، ويمارس حياة الشوارع والجسور،

وهذه نقطة ضعف يحاول التغلب عليها بقطع طريق الأطفال من البشر، ويضايق كل من يستطيع مضايقته.

❊ ❊ ❊

التجربة وحدها هي التي تكشف عن الأصالة أو الضعف، وقد أثبت عيطة جدارة هائلة على القيادة، ذلك الذي ظنه الأعداء غبيًا.. جمع عصابته، وضمّ إليها ثلاثة كلاب شابة وقوية، وضم كلبين من عصابة تيتو، وتركهما يأكلان أولا من الحمار الميّت بالأمس، ووضع خطته والتي لم تحدث قبل ذلك.. بعد أن أكلت العصابة الحمار في عدة أيام، قاد عيطة عصابته، وهاجم عصابة تيتو في بطن الجسر بجوار مقلب القمامة الكبير، وكسر رقبة تيتو ومزقت عصابته ثلاثة كلاب.. كان نجاحًا ساحقا، ثم واصل عيطة تمشيط المنطقة كلها على طول ثلاثة كيلومترات وأكثر، واعتدى على كل الكلاب التي قابلته، وفرض الطاعة بالقوة، خمسة أيام في خمسة طرق.. لقد نشر الرعب في المنطقة حتى اعترفت به جميع الكلاب زعيمًا أبديًا.

❊ ❊ ❊

طلب أجازة

وقفت النملة نوني فجأة، وأخرجت فرمونًا كيميائيًا صارخا، والنمل يتكلم عن طريق الفرمونات، صرخت نوني من كل قلبها: يكفي هذا.. عمل، عمل، عمل بلا توقف.. لقد كدسنا كثيرًا من الطعام يكفينا لسنوات.. هل نحن أحجار؟ ما قيمة العمل المتواصل بلا متعة، وبلا غناء، وبلا رقص، وبلا إجازة نجدّد فيها نشاطنا؟ أنا أعترض وأفضّل الموت على هذه الحياة.. توقفوا عن العمل قليلا أيها المجانين.. فالعمل إذا لم يكن ممتِعًا فهو أشد الأشياء كآبة على وجه الآرض.. توقفوا فورًا.

توقفت ثلاثة ملايين نملة عن العمل، ولم يعرف النمل ماذا يفعل، فهذه أول مرة في تاريخ النمل يحدث مثل هذا الفعل من نملة.. هذه هي السابقة الأولى. هل يقتلونها لأنها تجرأت وطالبت بإجازة طارئة من العمل؟ فالنملة المتكاسلة يمزقها الجنود فورًا، فالعمل والعمل والعمل هو قانون النمل، ولكن الأمر لأنه جديد وغريب صدم الجميع، وحتى القائد نون الشجاع أخذ يفكر في كلام النملة الطائشة، وكان قبل ذلك يتخذ القرار فورا بالإعدام، ولكن كلام النملة معقول خصوصًا بعد الانتصار الكبير منذ أيام ضد الأعداء.

واصل النمل العمل في هدوء وبطء وتكاسل، وأخذت النمال تفكر: نوني مجنونة، وستلقى عقابًا لا مثيل له

يعادل أفكارها المتهورة الجميلة. من أين أتتها هذه الفكرة العبقرية؟

❊ ❊ ❊

ليست هذه حركة العمل المعتادة، فماذا حدث؟
هكذا سألت الملكة. فقال لها القائد الأعلى ما حدث: توجد نملة اسمها نوني تطالب بإجازة من العمل لتستريح، وتجدد نشاطها، وتقول: العمل لم يعد ممتعًا. وتريد إجازة يومًا واحدًا في السنة. قالت الملكة: هذا أمر غريب جدًا، ولكني أوافق عليه، فالطعام متوفر ولا بُد أن تستريح المملكة يومًا في السنة.
صرخ القائد الأعلى: أيها النمل.. هذا يوم مجيد في تاريخ النمل، وتاريخ المملكة، فقد وافقت الملكة العظيمة على طلب النملة نوني، فتوقفوا عن العمل اليوم، ولتفعل كل نملة ما تريد، فقولوا خلفي: تحيا الملكة العظيمة.. حدث تصفيق حاد هادر هز قرية النمل، وقالت النمال: تحيا نوني.
قال القائد الأعلى: لا. لا. قولوا: تحيا الملكة، فقالت النمال بصوت أعلى: تحيا نوني، نوني، نوني، وحدث صخب عام، والتف النمل حول نوني، وبدأت أعظم حفلة رقص وغناء في تاريخ النمل.

❊ ❊ ❊

المتآمران

اتفاق سري تم بين العصفور صاصوه والقط باسو. إنهما متشردان خطيران، ويفهمان بعضهما بعضًا، ولكن صاصوه يحذر الاقتراب من باسو أكثر من ثلاث خطوات بمقياس البشر، ويقول لباسو: إنه اتفاق مصالح، وما أنا إلا لقمة لك يا آكل اللحم. ما بيننا بيزنس كما يقال. ضحك باسو، وتقلب على الأرض من شدة الضحك، وقال: من أين تعلمت ذلك يا صاصوه؟ نعم إنه بيزنس، وأنت صديقي دائمًا.

نص الاتفاق على أن يعمل صاصوه مخبرًا لدى باسو، مقابل أن يطرد باسو الدجاج من حول الطعام، ليأكل صاصوه أفضل الحبوب، وبقايا الخبز، والبرسيم المقطع في آخر بيت الشاعر بعد باب الوسط، بجوار الفرن البلدي القديم نجم، ويظل باسو موجودًا حتى يشبع صاصوه؛ لأنّ الديك كوكو فصيح يكره صاصوه جدًا ويحتقره.

قال باسو: هذا طعام وفير سهل مقابل أن تقول لي أخبار المنطقة، وأماكن الفئران، والطيور العاجزة، والدجاجات الشاردة، والقطط الجميلة التي هربت مني. قال صاصوه: أوافق.

وافق صاصوه رغم أنه مغرور جدًا، ولا يقبل أن يعمل عند أحد، ولكن الظروف الأخيرة جعلته يقبل هذا العمل؛ لأنّ هذه المهنة تناسبه، فعمل المخبر الخاص الذي يتحرى عن خفايا الجرائم والأحداث المهمة، يجد

فيه صاصوه متعة كبيرة، وأصبح الأمر أكثر فائدة عندما سمح لبعض قوّاده وأصدقائه بالاستيلاء على طعام الدجاج، رغم أنف الديك كوكو فصيح، تحت حراسة باسو، فاستطاع السيطرة عليهم جيدًا. إنها مصالح متبادلة، ولكنه أخبر العصافير أن باسو يعمل لصالحه.

لم يكتف المخبر صاصوه بنقل الأخبار، بل أخذ يستمتع بالدسائس، وتدبير المؤامرات، فهو الذي أقنع ميمي ملكة جمال الحمام، أنها تحتاج إلى عملية جراحية عند القط باسو، أفضل جرّاح في مصر، كما أكد لها أنه أصبح يوجيًا نباتيًا لا يأكل اللحوم.. يا ميمي الجميلة إنّ باسو الآن شيخ جليل.. هكذا زين لها إجراء العملية:

قال صاصوه لميمي: إن العصافير تشهد بروعتك، والحمام، وكل الطيور تشهد أنك أجمل ملكة جمال، وأنت تعرفين أن العصافير خبيرة في الجمال، إنها الخبيرة الأولى في العالم، فهي تعرف الجمال من النظرة الأولى، وقد أجمعت العصافير كلها على جمالك، لولا..

تألمت ميمي، وشعرت بالقلق، فهذه هي المرة الأولى في حياتها التي يقول أحد عن جمالها لولا، ولولا تعني وجود عيب ونقص في جمالها.

فقالت بقلق شديد: لولا ماذا يا صاصوه؟ ألم تقل إنكم الخبراء في الجمال؟ لولا ماذا؟ هل أنا غير جميلة؟ ألست رائعة؟ ها هو ريشي يلمع من النظافة، وعيناي ملونتان.....

قال الخبيث: لا أريد أن أضايقك، إنه شيء بسيط، وأنت جميلة على كل حال، رغم أن الحمامة قرمشة منافستك تقول عكس ذلك.

عصف القلق بقلب ميمي، واندفعت في الهديل الباكي الذي تبكي الأحجار لو سمعته..

قل لي يا صاصوه: أنا جميلة لولا ماذا؟.. أرجوك.

فقال صاصوه: تحتاجين نزع ريشة من خلف كل جناح، وريشتين من الذيل.. كيف تكونين ملكة جمال الحمام ولا تعرفين أحدث صيحة في الموديلات الحديثة.

فصاحت ميمي: حدد لي موعدًا مع باسو، أفضل جراح في مصر كما تقول.

هكذا نسج صاصوه مؤامرته، وسلمها لقمة لذيذة لأنياب باسو، والقصة مشهورة في عالم الطيور ولكن صاصوه لم يتراجع عن أفعاله، وأشاع أنّ ميمي هجرت زوجها ميام، لأنها لم تعد تحبه، وأنها تعرفت إلى حبيب جديد، فهجرت البيت إلى برج حمام بعيد.

وهذه المؤامرة هي واحدة فقط من أفاعيل صاصوه الذي أخلّ بالاتفاق مع باسو بعد فترة، وأصبح يعمل الآن لحسابه الخاص، وأسّس مكتبًا للإعلام، مكتب صاصوه للأخبار السريعة.

❊ ❊ ❊

ابتعد عن طريقي إلى الأبد

وضعت بوسة أجمل قطة في شعب القطط الفأر السمين من فمها، وقالت محذرة: نـاااااااااااااااااو. ابتعد عن طريقي يا باسو. ابتعد وإلا ستندم.

ضحك باسو المتشرد كثيرًا وقال:.. ماذا؟!! سأندم؟!! ماذا ستفعلين أيتها الجميلة، يا زوجتي السابقة؟ وإلا ماذا؟.. أريد أن أرى ماذا هذه؟ لن أبتعد عن الطريق.. هذا طريق عام، ويحق لي أن أمشي أينما أريد، وقتما أريد، كيفما أريد.. ولا يجرؤ حتى الكلب عيطة أن يعترض طريقي.. ولكن أين تذهبين بهذا الفأر اللذيذ.. إنه طازج، وأنا أشم رائحته الشهية. إنه وليمة رائعة. هل اصطدته من منطقتي؟ أنا متأكد أنك اصطدته من منطقتي.

قالت بوسة: لم أصطده من منطقتك، ولا شأن لك بي، وهذا الأمر لا يخصك. ابتعد أيها المتشرد. هل تفرض ضريبة على المرور في الطريق؟

قال باسو: إن منطقتي واسعة جدًا، فالبلد كله منطقتي، وأينما اتجه أي قط، فهو يسير في منطقتي، وأنا أفرض ضريبة. نعم، فهذا حقي، لأنني الزعيم، وأنا متشرد كما تقولين، وقاطع طريق أيضًا، وهوايتي مضايقة الآخرين.. هكذا أنا، وهذه متعتي. إنّ القطط متنوعة، وأنا من النوع السيء، ورغم أنني لست جائعًا، فأنا أريد أن أعرف أين تذهبين بهذا الفأر اللذيذ يا بوسة الجميلة؟ ولماذا لم تأكليه؟ هل تذهبين به إلى أحد ما؟

قولي الحقيقة، وإلا لن أدعك تمرين نـاااااااااااااااو.. الحقيقة فأنـا أحب الحقـائق، خصوصًـا عنـدما تكون فـي صالحي.

❊ ❊ ❊

وجدت بوسة أنها يجب أن تهادنه حتى يتركها، لأنها مشغولة، وهذا المجنون سيعطلها، وهي لا تريد أن تدخل في معركة معه، فقالت: هذا الفأر لزوجي بيسة، فهو مريض ويحتاج إلى الطعام ليشفى. هل ارتحت؟

قال باسو: لا. لم أرتح أبدًا.. إذا كان هذا الطعام سيذهب إلى أحد أعدائي، فلن يصل.. إنه زوجك وحبيبك الآن، إذن فهو عدوّي، لأنني لم أطلقك أيتها الجميلة، فأنت من أملاكي. صرخت بوسة نـاااااااااااو نـاااااااااااو، ولكني طلقت نفسي منك، لقد خلعتك، وأنا لا أريدك، ولا أحبك، ولا أطيق رؤيتك، لأنك قاتل، ومجرم، ولا تصادق إلا الأشرار مثلك.

قال باسو: هكذا!! ماذا أعجبك في ذلك القط المريض بيسة؟ هل هو أفضل مني يا رقيقة القلب؟ وهل تعملين الآن في هيئة الأمر بالمعروف، أو هيئة الإغاثة؟ هل تفضلين بيسة الشاعر الفاشل على باسو الزعيم الملهم الذي يهابه الجميع..

فقالت بوسة: يهابونك لأنك مجرم، وقليل الأدب، والآن دعني، فأنا لا أحتمل هذا الكلام السخيف من قط بلا مبادئ. ابتعد عن طريقي. قال باسو غاضبًا: على جثتي، وهذا الفأر لن يذهب إلى زوجك المريض الذي يتكلم بالخزعبلات التي تعجبك وتعجب القطط، لأنهم متخلفون. لن يحصل بيسة على الفأر لأنه لو أكله، فسوف يشفى، وأنا لا أحب ذلك، لأنه عدوي.

أصدرت بوسة مواء غاضبًا جدًا نااااااااااااااو. وفي الحقيقة لا يمكن توقع رد فعل أنثى جميلة تحب زوجها المريض، وتدافع عنه. فهي يمكن أن تصبح نمرًا قاتلا، وبوسة قوية وتقارب باسو قوة، وإذا تقاربت القوتان، ينتصر صاحب الحق المؤمن بقضيته.

* * *

ابتعد عن طريقي أيها المجرم. إنك عار على شعب القطط. هكذا صاحت، فصاح باسو أيضًا: لن ابتعد، فأنا أقف حيث أريد، وقتما أريد، كيفما أريد، وقوس كل منهما ظهره، ولكن بوسة أمسكت الفأر بفمها، وألقته في الهواء في اتجاه باسو، فقفز ليلتقطه، وفي هذه اللحظة قفزت بوسة عليه وطرحته أرضًا، ومزقت جانب رقبته، فقام متخبطا في دهشة.. صارخًا: ماذا فعلت أيتها الذئبة؟ ومن أين أتتك هذه القوة والشجاعة..

قالت بوسة الجميلة وأروع قطة في شعب القطط، في عزم وتصميم: ابتعد عن طريقي إلى الأبد، فأنا معي قوة الحب، ولن يقف في طريقي أحد، لا أحد يستطيع أن يقف أمام الحب، لا أحد.

❊ ❊ ❊

عودة ركس

هوهو عيطة زعيم الكلاب صارخًا: يا إلهي!! ما الذي يحدث للكلاب العظيمة التي كانت نموذجًا في السلوك الكلبي الأصيل؟ لقد أصبح العظماء من الكلاب مثل بعض البشر يهلكهم الحب. ماذا حدث لك أيها المحترم ركس.. أكل ما حدث لك كان بسبب الحب؟!!

قابل عيطة صديقه القديم ركس الذي كان مؤهلا ليكون زعيمًا للكلاب، ولكنه زهد في الرئاسة، وأصابته حالة من الوجوم، والتوهان، وعدم الانتباه، والعزلة، مما جعل عيطة يخصص كلبين يحرسانه، تقديرًا لمكانته.. وعندما أخذ يفيق من حالة الغموض التي أصابته بعد موت صديقه الزعيم السابق روح، طرد الكلبين، وعاد إلى وعيه قليلا، ولكن هذا الوعي اتجه إلى اتجاه واحد، نحو الكلبة مشمشة الجميلة، والتى يرى عيطة أنها قبيحة جد.

صرخ عيطة عندما قابل ركس فوجده سعيدًا نشيطا، وبصحة جيدة، ولكنه لا يشبه ركس القديم تمامًا، فقال: إلى أين أنت ذاهب يا صديقي؟ فقال ركس: أبحث عن مشمشة، فأنا أحبها يا عيطة قبل أن يحبها صديقنا القتيل العظيم روح، ولأنه صديقي فلم أستطع أن أظهر حبي حفاظًا على الصداقة، ولكن الآن لا أستطيع أن أكتم حبي؛ لأنّ كتمان الحب أصابني بالمرض، وأنا لا أهتم الآن بأي شيء في الحياة إلا بمشمشة الرائعة، أجمل كلبة في العالم.

قال عيطة: أنا لا أفهم ما الذي حدث لكم يا معشر الكلاب؟ هل أنتم بشر لتفعلوا هذه الحماقات؟ لقد تسببت مشمشة في قتل روح أعظم كلب في شعب الكلاب، وأنت تعرف ذلك، وإن لم تنتبه فسوف تموت قتيلا أنت أيضًا، وفي هذه الحالة سأقتل مشمشة بنفسي، ولن أرحمها، لأنها ستكون قد تسببت في قتل أعز صديقين لي. قل لي صفة واحدة جميلة فيها.. إنها مصابة بالأنيميا، وعظامها بارزة، وهوهوتها مثل هوهوة الجراء الصغيرة. ماذا فيها لتستولي على أعظم كلبين في شعب الكلاب؟!!!

ضحك ركس وقال: لن أغضب منك لأنك صديقي، ولكن يا عيطة لو عرفت الحب الحقيقي لاكتشفت الجمال المكنون في حبيبتك، فعين المحب خبيرة في اكتشاف جمال المحبوبة، ومشمشة في نظري هي ملكة جمال الكلاب.

قال عيطة: افعل ما شئت يا صديقي، ولكن لو حدث لك مكروه فسوف أقتلها. قال ركس: لن يحدث إلا كل خير.. وهي لم تتدلل على روح إلا لأنها كانت تحبني.. لقد أخبرتني بذلك، وقد صبرت عدة شهور، ولم أعد أحتمل. فقال عيطة: إنها عدة أسابيع فقط. قال ركس: إنها شهور أو سنوات، فقد كانت طويلة جدًا.

❊ ❊ ❊

ذهب عيطة وقت الغروب إلى العصفور صاصوه، المخبر الخاص، والذي يسكن في شجرة الكافور هيفاء، وناداه: يا صاصوه. صاصوه، فلم يرد، فقال عيطة: أيها الزعيم صاصوه. قال صاصوه: نعم. ماذا تريد أيها الزعيم عيطة؟ قال عيطة: عندي مشكلة، وأريدك أن تتحرى عن أمر الكلبة مشمشة وأن تعرف أخبارها، وأخبار السيد ركس.. فقال صاصوه: ركس سيد مشهور ومحترم، ولا يجب مراقبته إلا لسبب جيد، فقال عيطة: إنه صديقي كما تعرف، ولكنه واقع في حب مشمشة، وهي لا أمان لها، فقد تسببت في قتل المعلم الكبير روح.

قال صاصوه: نعم فهمت، ولكن ما الثمن؟ قال عيطة: قطع صغيرة كثيرة من اللحم في حجم الدود لتستطيع أكلها، لك ولأسرتك طالما اللحم متوفر. قال صاصوه: إنها صفقة عادلة، اتفقنا.

❊ ❊ ❊

بعد يومين طار صاصوه إلى الزعيم عيطة بأغرب الأخبار: ركس لا يعرف من الدنيا شيئا إلا مشمشة، ومشمشة لا قلب لها، ولا تهتم إلا بمصلحتها الشخصية، وهي لا تحب ركس، وإنما تحب الدكش بن تيتو الذي عاد يبحث عن الثأر منك لأنك قتلت والده، ومعه أربعة كلاب قوية، ومشمشة تحبه من سنوات،

وهي جاسوسة ضدكم، وقد ضربت موعدًا لركس غدًا وقت الظهر، بجوار الساقية المحطمة حيث يختبئ الدكش وعصابته لقتل ركس.

قال عيطة: أشكرك يا صاصوه إلى الأبد. أنت أعز أصدقائي، وقد أكدت لي ما كنت أشعر به.. ستدفع مشمشة الثمن، وسيدفع الدكش الثمن، لقد عاد لقدره.

جمع عيطة عصابته، وأطلع الجميع على الخطة المدبرة لقتل ركس، ووضع خطة مقابلة وقال: أيها الأصدقاء، ركس لن يصدق لو أخبرناه، وسيفسد الخطة، لذلك لن نخبره، وسوف نختبئ قرب المكان، عكس الريح حتى لا يشم رائحتنا أحد من عصابة الدكش، ويعرف مكاننا.. من الصباح الباكر سنأخذ مواقعنا في الحقول، وننتظر وصول ركس، وعندما تبدأ المعركة مع ركس سنتقدم فورًا.. ولن نهجم قبل بداية المعركة، ليعرف حقيقة مشمشة، ولكي يفيق ويعود إلينا مرة أخرى. لا بُد من القضاء التام على الدكش وعصابته إلى الأبد، هل هذا مفهوم؟

ردت الكلاب معًا: مفهوم أيتها الزعيم عيطة.

* * *

خيال الحقل البطل

لم أشعر بالحياة إلا عندما ركّب لي صاحبي الرأس، ففتحت عيني مدهوشًا، وأخذت نفَسًا عميقا، ونظرت للحياة، والشمس والسحاب والحقول، وضحكت من شدة الفرح.

الفلاح الأصيل فقط هو الذي يهتم بخيال الحقل، ونحن أروع حراس للحقول، ولا يوجد منظر يسعد الأطفال والشعراء مثل منظرنا.

غرسني صاحبي في حقل القمح، وقال: إنت اسمك هيصة، ومهمتك يا هيصة حراسة الغيط من العصافير والطيور الأخرى، لقد صنعتك لهذا الأمر، فأرجو أن تكون على قدر المسئولية، وتملأ الغيط هيصة وصياحًا؛ لأنّ ذلك يخيف الطيور، فهززت رأسي: لا تقلق يا سيدي، فحراسة الحقل مهمة مقدّسة، وتحتاج إلى الشجاعة والبطولة، وأنا لها.

ابتسم الفلاح الطيب وقال: أنا أعتمد عليك، وقد صنعتك من العصا نفسها التي صنعت منها والدك في العام الماضي، وكانت ملقاة فوق العشة، وكان أبوك دوشة أشجع خيال حقل في الغيطان كلها.

ملأني كلام صاحبي بالفخر، فقلت: لقد عرفت ذلك فورًا بعد أن صنعتني، وسوف أكون شجاعًا مثل أبي، وجلبابي الأزرق كثير الفتحات.. رائع جدًا، والهواء يلعب به، فأضحك من السعادة، فإذا هزتني الريح،

فالعمل يسير على ما يرام، والناس تعيش على القمح، وأنا أحرس القمح من الأعداء، إذن أنا مهم جدًا في الحياة.

قال صاحبي: أنت بطل. أنت هيصة البطل، فلا تترك فرصة للعصفور صاصوه، ذلك المتشرد. فقلت: هذه مهمتي، فتركني ومضى، وبدأت أمارس مهامي، وأغني، وأحدث جلبة وصياحًا، وأنظر في جميع الاتجاهات وأتعرف إلى النواطير الأخرى، كان على يميني، زمبليطة، والراقص المصري الذي لا يكف عن الرقص، وعلى يساري، زيطة، وأزعرينة، وبعدهم غاغة، وأنا وحدي في حقلي، وبعيدًا بعض العصي مربوط فيها أشرطة رفيعة ترفرف في الريح لإخافة العصافير، ولا يمكن مقارنتها أبدًا بحارس حقل حقيقي مثلي.. حيّتني النواطير الأخرى، وفرحت بوجودي، فقلت لهم: أيها الأصدقاء، نحن الشجعان الأبطال، والنسيم يساعدنا، ورفعت صوتي بأعلى ما يمكن، وهززت ذراعي قائلا: أنا أحبّ السماء الخالية من العصافير، والقبرات والحمائم، والطيور الأخرى. ليستمع الجميع.. أنا هيصة البطل، أشجع خيال حقل، أنا خيال المآتة، أنا الناطور، أنا الفزاعة، أنا هيصة البطل، أنا ابن أبي، فلتعرف جميع الطيور ذلك.

❊ ❊ ❊

على شجرة الكافور هيفاء، كان يقف عصفور شرير، فقال: كفى إزعاجًا أيها الناطور، فلن تستطيع أن تفعل شيئا، أنا العصفور صاصوه زعيم العصافير، وسوف آكل من أي حقل أريد، حتى لو كان صاحبه شخصيًا يقف أمامي.. أنا صاصوه.. ألم تسمع عن صاصوه؟

صرخت في وجهه: إياك أن تقترب من حقلي.. هذه أرضي ومنطقتي.. اذهب إلى مكان آخر وإلا.. أنا هيصة بن دوشة البطل بن البطل.. لن تنال حبة قمح واحدة.

فقال الشرير: ماذا ستفعل أيها الثابت في مكانك؟ هل ستطير لتلحق بي؟ قلت: أنا الثابت نعم، ولا أطير وأقفز مثلك، لأنني ثابت على المبادئ، أنا ثابت مثل الأشجار والمباني أيها التافه، وسوف ترى ماذا أفعل، فأنا أمتلك مئات من الحيل السحرية، وأستطيع أن أنظر إليك، وأسقطك من السماء تحت قدمي وأفعصك.

ارتعب صاصوه وطار خصوصًا عندما أخذت أهز ذراعي، وأخذ جلبابي الأزرق يطير مع الريح، وظللت أحرس القمح كالأبطال حتى وقت الغروب.. وهكذا انتهى يومي الأول في الحياة، وكان رائعًا، وغفوت من التعب..

في الصباح استيقظت مبكرًا، لأمارس مهمتي المقدسة في الحياة، وتبادلت تحية الصباح مع أصدقائي

النواطير فهم أروع حراس في العالم، وبدأت أمارس عملي، ولكني سمعت صوتا يناديني:

لسان: أيها البطل الشجاع هيصة.

هيصة: من يناديني؟ من أنت؟

لسان: أنا العصفور لسان، أقف هنا على شجرة الكافور، وأنا مريض، ولا أستطيع الطيران جيدًا، وأحتاج الراحة عدة أيام، حتى يتحسن جناحي، وأحتاج فقط بعض حبوب القمح المتساقطة على الأرض، ولن يضر ذلك أحدًا.

هيصة: اسمع يا لسان.. أنا بطل ولكني عطوف، ولا يضايقني ما تطلب وحتى صاحبي لن يضايقه ذلك، ولكن ماذا أستفيد أنا؟ وقد يتجرأ صاصوه عندما يراك تأكل.

لسان: ستستفيد كثيرًا، وسوف أخبرك بجميع أسرار المنطقة، حتى تأخذ حذرك، وسوف آكل دون أن يراني أحد.

هيصة: أنا موافق، ولكن لثلاثة أيام حتى تشفى، وأخبرني الآن ما أحتاج معرفته من أجل عملي.

لسان: شكرًا أيها البطل.. واستمع لى جيدًا: صاصوه هو زعيم العصافير ولكنه متشرد، ويضطهدني، ويأكل

طعامي، ولا يجب أن يكون الزعماء هكذا. كما أنه متآمر وخبيث، وقد تسبب في مقتل ميمي ملكة جمال الحمام، فقد أقنعها أن تجري عملية جراحية عند القط باسو، وأقنعها أنه أفضل جراح في مصر، فأكلها باسو، وهي حكاية مشهورة، وفعل ذلك خدمة لباسو، وخدمة للحمامة قرمشة التي كانت ترغب في الزواج من ميام زوج ميمي الذي ظل حزينا، وانقطع عن الطعام، فأخذت قرمشة تساعده وتتودد إليه وفى النهاية تزوّجا، وأصبحت أقوى حمامة خصوصًا بعد مرض ميام، وهو الآن بلا حول ولا قوة، وقرمشة هي التي تقود الحمام البيتي وحمام الأبراج، وتقوم بشن غارات مفاجئة على الحقول.

هيصة: أشكرك يا لسان على هذه المعلومات، وسوف أستعد لهم، فأنا لا أخاف حتى من النسور، لأنّ الشجاعة لا تنقصني، وهذا حقلي، ولن أسمح بمهاجمته، والعبث به، وسأكون سعيدا لو قتِلت في سبيل حمايته، فالعمل عمل، وأشكرك مرة أخرى يا لسان العصفور، وكل ما شئت من الحبوب المتساقطة، وأنا سأغمض عيني عنك.

لسان: اسمي لسان فقط، ولست لسان العصفور.

هيصة: شكرًا يا لسان، وسأبدأ عملى الآن، فقد بدأت الطيور تحوم في السماء: ها.. ها.. فلتبتعد جميع العصافير، فأنا هنا، أنا هيصة الشجاع ابن البطل

دوشة، وقريب زمبليطة الرهيب، وأزعرينة المخيف، والراقص المصري، وزيطة، وغاغة، ولا أريد أن أرى عصفورا في سماء الحقل، وهذا تحذير، فمن أراد أن يعود إلى عشه سليمًا، فليبتعد عن حقل هيصة.. هكذا أخذ البطل – الذي هو أنا – يمارس عمله في اليوم الثاني له في الحياة.

* * *

في اليوم الثالث حدث لي أسوأ شيء في العالم، باختصار وقف العصفور صاصوه على رأسي، وهذا أسوأ شيء يحدث لخيال الحقل، فهذا يعني فشلا كاملا.. ومعناه أنني لا أخيف عصفورا، هذا كابوس حقيقي.. أنا الذي يسميني البعض فزاعًا، لأنني أفزع الطيور، وقف العصفور المجرم على رأسي ليهيننني، عندما غفوت قليلا قبل الغروب من شدة التعب..

سمعت زمبليطة يصرخ بي: استيقظ يا هيصة، فصاصوه على رأسك، فصحوت مفزوعًا، وهذا التعبير مهين جدًا لي، واقشعر جلدي، وهذا التعبير أيضًا أشد مهانة.. أنا المفزع، أصبحت مفزوعًا – خصوصًا – وأنا أخجل من ذكر ذلك.. لقد فعلها المجرم صاصوه على رأسي.. لقد قضى حاجته على رأسي، صرخت وبكيت، فأخذ يضحك، وكأن عصافير السماء كلها تضحك من فشلي.

نعم لقد فشلت مرة، ولكن الفشل ليس نهاية الحياة، رغم مرارته، بل الاستمرار في الفشل هو نهاية الحياة.

استغل صاصوه الفرصة عندما غفوت لحظات لأنني كنت أحاربه طول اليوم هو وعصابته، وأحارب الحمامة قرمشة وعصابتها، من الصباح وأنا أصرخ ضدهم وأشتمهم.. وأهز ذراعي وثوبي في النسيم لأخيفهم.. ولكن الخبيث صاصوه قاد ثلاثين عصفورًا من ارتفاع كبير، واتجهوا نحوي للقضاء علي.. وطول اليوم يحاولون إسقاطي، فتصديت لهم، وفعلت أكبر ضجة في حياتي، وساندني أصدقائي حتى ابتعدت العصافير، وتخلت عن صاصوه، فزاده ذلك غضبًا، ولم يبارح شجرة الكافور، فقد صمم على إهانتي، وأخذ يقوم بغارات فردية، ويسبني قائلا: كل هذه الحقول لنا، وحقلك أولها أيها الثابت القبيح، فأقول له: لن تنال حبة قمح واحدة. أيها الشرس الخبيث الذي بلا قيمة، يا من يحملك الهواء كالغبار.. أنا ثابت مثل المباني والأشجار، وأنّ الموت شرف لي في الحرب ضد أمثالك أنت وقرمشة.. إنها ليست شجاعة، فقد هربت بعيدًا، وكنت تعتمد عليها، كما تخلت عنك عصابتك.. اسمع يا صاصوه: أنا أشجع خيال حقل في هذه القرية، والقرى المجاورة، والقرى المجاورة للمجاورة إلى ما لا نهاية، وإياك أن تقترب هنا مرة أخرى.

طار صاصوه بعيدًا، وكنت قد تعبت فغفوت قليلا، فحدث لي أسوأ شيء في العالم يمكن أن يحدث لخيال حقل، حتى أنني بكيت من الألم، ولم أنم جيدًا طول الليل..

ما حدث لي لن يحدث مرة أخرى حتى الموت.. هكذا قررت. وسوف أحول هذه الهزيمة الرهيبة إلى نصر كبير، وفي اليوم التالي حدثت لي أروع الأمور في العالم، فبكيت ولكن من الفرح، كما بكيت من الألم بالأمس.

* * *

جاء صاحبي، ووضع طاقية على رأسي، لتحميني من الحر، حتى أنني رقصت من السعادة، فهذه الطاقية ستعطيني منظرًا رائعًا، لقد أصبحت مميزا عن جميع خيلان الحقول، وأصبحت أركز في عملي أكثر.. بوركت يا صاحبي.. أنا الآن أشيك خيال حقل في العالم. ها قد بدأ اليوم الرابع بداية موفقة. وأنا أستعد لأدمر صاصوه.

ذهب صاحبي إلى العشة، وأخذ يصنع شيئا، فلم أهتم وجعلت همي مراقبة سنابل القمح التي أخذت تميل إلى اللون الذهبي ساعة بعد ساعة..

أصبح العصفور لسان العصفور بحالة جيدة، وأصبحنا صديقين، وتغاضيت عن بعض حبوب القمح المتساقطة

لأجل لسان العصفور، مقابل أن يقف في صفي، وينقل أخبار بطولاتي إلى العصافير الأخرى.. قليل جدًا من الحبوب من أجل حماية الحقل كله، وهي صفقة عادلة.

قام صاحبي الفلاح الطيب من جوار العشة واتجه ناحيتي، وكان يحمل في يده شيئا.. أخذ قلبي يدق ولا أعرف السبب، وعلى بعد مسافة قريبة غرس أجمل أنثى خيال حقل فوق الأرض.. يا إلهي العظيم، ما أروعها بردائها الأصفر المرسوم بوردٍ أحمر صغير.. إنها تلبس أجمل الملابس بهجة، مضى صاحبي وقد ترك لي أفضل هدية في الحياة..

أخذ زمبليطة والراقص المصري، وزيطة، وأزعرينة، وغاغة يصيحون: أيتها الجميلة، مرحبًا أيتها الجملية، فقالت لهم: مرحبًا يا أصدقاء. فقلت: أيها الأصدقاء اهتموا بأموركم، فهذه الجميلة تخصني، فقالت لي: مرحبًا ما اسمك؟

قلت مرحبًا، أنا هيصة البطل يا أجمل فتاة خيال حقل، والحقيقة أنك أول فتاة حقل أراها.. إن وجهك رقيق جدًا، وكشكشة ثوبك رائعة، فما اسمك؟

قالت: أنا وشوشة، ولكني طلبت من صاحبي أن يغيّر اسمي إلى اسم يخيف الطيور، فسماني مطوة.

قلت: مرحبًا يا أجمل مطوة في العالم..

ناداني لسان العصفور: احذر يا صديقي، فصاصوه في الطريق، فقلت: أنا أنتظره.. وهدأت تمامًا، وادّعيت النوم، ورفعت صوتي كما يفعل النائم لأخدعه.. أخذ صاصوه يرفرف أمامي، ويدقق في وجهي، ليتأكد من نومي، فيفعل ما فعله بالأمس، وفي هبة ريح قوية، استدرت فجأة وصفعته بذراعي الأيمن صفعة قوية، فصرخ ووقع يتخبط بين أعواد القمح والحشائش، وقام بصعوبة يتألم، وفر مذعورًا، واشتعل الهتاف من الأصدقاء، ومن مطوة في صوت واحد، يحيا البطل، يحيا البطل، وسمعت تصفيق صاحبي من بعيد، فتدفقت دموعي من السعادة.. إن الحياة رائعة..

❊ ❊ ❊

أهلاً بالحب

تغير باسو أخيرًا، وأشهد بسمعتي على ذلك، أنا بيساو صديق باسو منذ الطفولة، اكتشف باسو نفسه أخيرًا، والحقيقة أنه كان مجبرًا على ذلك.. بعد أن عرف الحب للمرة الأولى، رغم أنه تزوج مرات كثيرة، ولكن الحب لم يعرف الطريق إلى قلبه وإلا لكان تغير، فالحب أكبر مغيّر في الحياة.

سيدفع باسو ثمن سمعته السيئة، فلن يصدق أحد أن باسو تغير، فقد فشل الجميع في تغييره، حتى المعلم سابا العظيم معلم اليوجا فشل في تغيير باسو بشكل دائم، تغير عدة أسابيع عندما مارس اليوجا، ثم عاد إلى طبيعته السيئة، وأخذ يضايق الجميع، حتى إن حسين الشاعر طرده من البيت للمرة العشرين بعد أن توسطت له. لا أحد يحب باسو، فلا أحد يحب الخبيث، والكذاب، وقاطع الطريق، ولكن باسو تغير حقيقة، وهذا الأمر يستحق أن أحكيه.

❊ ❊ ❊

جاءني باسو مهمومًا ومضطربًا وسعيدًا، وقال لي: ما معنى تعديل السلوك يا بيساو؟

فقلت: معناه أن تحسن سلوكك، وأن تصلح عيوبك.

فقال: ما معنى هذا الكلام؟ وهل أنا سيء السلوك؟ أنا طبيعي تمامًا، وسلوكي نموذجي.. أنا مثال للسلوك الرائع، أنا الزعيم أليس كذلك يا صديقي؟

فقلت: لا تكذب على نفسك، وبصفتي صديق صدوق أقول لك: إن سلوكك سيء جدًا.

فقال: كيف تقول ذلك وأنت صديقي؟ أنا زعيم ولا بُد للزعيم أن يكون قويًا.

قلت: كن قويًا بأخلاقك الجميلة، لقد جعلتني أتوسط لك لتعود إلى البيت عند حسين، وقد طردك لأنك غير مهذب.

فقال غاضبًا: أرجوك يا بيساو لا تذكر حسين هذا أبدًا، فأنا لا أحب أن أسمع اسمه ذلك البخيل، والشاعر الفاشل.. لقد طردني، وشوّه سمعتي.. من يكون حسين هذا؟ إنه نكرة، فأنا لن أعود إلى البيت أبدًا طالما يعيش فيه.. إنه عدوي فهو يضطهدني دائمًا.. أرجوك لا تذكر اسمه مرة أخرى ولو بعد ألف سنة.

قلت: لا تغضب يا صديقي، ولكن ماذا حدث؟ ولماذا تسأل عن تعديل السلوك؟ وهل أنت جاد في هذا الأمر؟

فقال: أنا جاد إلى أقصى حد.. فأرجوك ساعدني.

فقلت: ماذا حدث؟

فقال: لقد أحببت يا صديقي.. وقلبي الآن ملتهب بحب روايح أجمل قطة رأتها عيناي.

فضحكت من باسو المتوحش، الذي أصبح مثل الطفل الصغير.

فقال: لك الحق أن تضحك، فأنا نفسي لم أصدق أن يصيبني الحب الحقيقي، وأسهر طول الليل لأفكر، ولكن هذا ما حدث.

قلت: إحك لي لكي أساعدك.

فقال: نعم فأنا أحتاج لمساعدتك، لأعدّل سلوكي لأن روايح قالت: لا بُدّ أن تقوم بعملية تقويم ذاتي ثم تعدل سلوكك، ولا أعرف من أين أتت بهذا الكلام الكبير، ولا أعرف من شوّه صورتي عندها، وأنا أظن أنّ حسين فعل ذلك.

قلت: دع حسينا في حاله، وقل لي ماذا حدث؟

فقال: في ساعات فقط تغيرت حياتي، عندما رأيت روايح تلك القطة الفاتنة، إنها تختلف كثيرا، وكأنها نوع آخر، كأنها ملاك في صورة قطة.. بالأمس حضرت إلى المنطقة، وكنت أول من رآها، إنها تعيش في الجوار، وقد أحضرتها صاحبتها من المدينة.. إنها ألطف، وأنظف، وأرق قطة رأيتها.. كنت أتجول كعادتي يا صديقي لأطمئن على منطقتي، فشممت رائحة

جديدة، وسمعت مواء ساحرًا، فتوقفت لأعرف ما الذي يحدث؟ وبعد قليل رأيتها في الشرفة، فأمسكت قلبي حتى لا يقفز من مكانه.. لماذا تبتسم يا صديقي؟ حدث هذا فعلا، وعندما رأتني حيّتني، وقالت: مرحبًا.

فقلت: مرحبًا، ما اسمك أيتها الجميلة؟

فقالت: روايح، وقد حضرت اليوم فقط وأنت أول قط أقابله فمن أنت؟

فقلت: أنا باسو أيتها الجميلة، باسو وأنا الزعيم هنا.

فقالت: كيف الحال هنا؟

فقلت: أوه إنه رائع، ولا بأس به أبدًا خصوصًا بعد حضور الجميلة روايح سيكون أجمل.

فابتسمت: أنت لطيف جدًا يا باسو، رغم أن منظرك يخيفني، فشعرك غير ممشط، وما هذا الجرح في رقبتك؟

قلت: لا شيء، معركة صغيرة..

فقالت: ياااااااي هذا فزيع جدًا "فظيع" أنا لا أحب المعارك، ولا حياة الشوارع، فأنا أعيش حياة راقية، وآكل في طبق خاص.. إلى اللقاء فصاحبتي تنادي.

فقلت: إلى اللقاء غدًا أيتها الجميلة روايح.

* * *

لم أنم يا بيساو طول الليل، وأنا أسير بلا هدى منذ أن شاهدت روايح.. واليوم ذهبت إليها، وظللت أراقب بيتها حتى رأيتها بعد العصر.. فوجدتها غاضبة.

وقالت فجأة: اسمع يا باسو.. لقد عرفت عنك كل شيء، كل شيء، لقد أحببتك بالأمس، أما اليوم فأنا لا أطمئن إليك ولا بُد أن تقوم بعمل تقويم ذاتي لأخلاقك السيئة، ولا أريد أن أراك مرة أخرى إلا بعد أن تتغير، ويعرف الجميع أنك تغيرت، كما يجب أن تعتذر لكل من أسأت إليه يومًا، مع وعد بعدم تكرار ذلك.. إن فعلت ذلك ستكتشف روعة السلوك الجميل، وتجد أن الحياة ممتعة، وقد أقبلك زوجًا إن فعلت ذلك.

فقلت لها: أنا غني جدًا، وأعرف مخابئ عشرات، بل مئات الفئران، وأكثر من ذلك، بل أستطيع أن أقدم لك دجاجة حين تطلبين ذلك.

فقالت تلك المغرورة الجميلة: المال رخيص جدًا أمام المبادئ والقيم والأخلاق.

وبعد ذلك تركتني، فقلت لنفسي: أنا لن أتغير، فأنا سعيد هكذا، لن أتغير.. لن أتغير، ولن أعتذر لأحد، فالزعيم باسو لا يعتذر لأحد مهما كان، فأنا باسو، باسو، ولتذهب روايح إلى الجحيم، وبعد ساعة واحدة من اتخاذ هذا القرار، وجدت أني أحتاج إلى التغيير لأني أحب روايح، وأنا مستعد لفعل أي شيء من أجل

هذا الحب الذي لم أعرفه قبل ذلك، سأفعل أي شيء، حتى، حتى، حتى الاعتذار إلى المدعو حسين، والاعتذار إلى بوسة، تلك المجرمة، آسف.. إلى بوسة زوجتي السابقة.. وإلى المعلم سابا الذي خذلته، وإلى الجميع، من أجل عيني روايح الساحرتين، وإلى بيسة أيضًا الذي لم أهتم بأشعاره يومًا، رغم أنها جميلة.. إن رياح التغيير تهب الآن يا بيساو وأشعر بها في قلبي.

قلت: المجد للحب الذي غيرك هكذا يا بيساو، وأرجو من كل قلبي، ألا يكون هذا الأمر حماسًا زائفا.

قال باسو: لا يا صديقي.. أنا فعلا أحتاج أن أولد من جديد لأكون جديرًا بالحب.

فقلت له: أنت تحتاج إلى أن تحصل على تدريب فعال في مدرسة الإيتيكيت، لتعرف السلوك المهذب في التعامل، وعليك أن تطبق تعاليم اليوجا في ضبط النفس، وأن تستحم وتمشط شعرك، وتبتعد عن الألفاظ الشائنة التي تسب الآخرين بها ليل نهار.. فالسلوك المهذب يبدأ باللغة المهذبة..

وعليك أن تعرف أنّ في لغة القطط كلمة رائعة اسمها: شكرا. أنت لا تعرف هذه الكلمة لأنك لم تستخدمها يومًا.

فتنهد باسو قائلا: كل شيء يهون في سبيل الحب. فعرفت حقا أنه صادق هذه المرة.

❊ ❊ ❊

في اليوم التالي: وجدت باسو نظيفا مهندما مشرقا، وكان يتجه إلى مدرسة الصفوة للايتيكيت. فقلت لقد بدأ عصر جديد في المنطقة، ومرحبًا بالحب.

❊ ❊ ❊

أربع وعشرون ساعة من البكاء المتواصل الغزير كالمطر

هيفاء هي شجرة الكافور القوية التي يصل طولها إلى أربعة عشر مترا، وعمرها إلى عشرات الفصول.. شجرة الكافور ذات الجذع الطويل الناعم، والأوراق المفعمة بالرائحة الخاصة.. شجرة الكافور مأوى العصافير المزقزقة، ظلت تبكي أربعًا وعشرين ساعة متواصلة من الدمع الغزير، حتى أغرقت الأرض تحتها، وجفت دموعها، فواصلت البكاء بلا دموع، فقد أصبحت وحيدة، بعد أن قطعوا أختها وصديقتها سماحة، بقسوة وعنف لا يناسب إلا الوحوش.

استيقظت هيفاء، وأفاقت بعد كسل الليل على صوت بلطة مروع، ذلك الصوت المعدني المرعب المكتوم، الذي ظل في خاطرها دائمًا كأخطر شيء في الحياة.. ارتعبت هيفاء من صوت البلطة الأولى، وظنته على جذعها، لكنه كان على جذع صديقتها سماحة، أخذت تصرخ قائلة: لماذا؟ ولكن القتلة لا يسمعون لغة الأشجار، ولا يهتمون بها.. كانت صرخات سماحة تمزقها، حتى لم تعد قادرة على الصراخ، بل الأنين فقط.. وأنينها يمزق قلب هيفاء، وجرحها يزداد اتساعا، وقلبها يتكشف ويتعرّى، وعندما سقطت شهقت شهقة الموت، وأصبح مكانها فارغا. بينما جثتها ملقاة، والقتلة يواصلون تمزيقها.

سنوات طويلة وهما تحكيان الحكايات، وتستمعان إلى حكايات العصافير الليلية بشوق، خصوصًا العصفور

صاصوه، فله مغامرات كثيرة، وهو يطير بعيدًا، ويرى العالم، والعصافير أكثر المخلوقات كلامًا، وكان ذلك يسعد سماحة فترعى العصافير جيدًا.

كانت ريح العصر حين تمر بين أوراقهما وأغصانهما، ترفرف الأوراق وتهسهس بموسيقاها الرائعة، وكانتا تضحكان كثيرا في هذه الأوقات.. آه.. إن الفراق مرير.. وهي لا تتحمل النظر إلى جذع سماحة المقطوع، ولا بقايا أغصانها الذابلة، فهذا يمزق قلبها، ولكن الأشجار القريبة والبعيدة، والبعيدة جدًا ترسل مواساتها مع النسيم، حتى حشائش الترعة تبكي فراقها.. أما ما حدث لصغار العصافير في أعشاش سماحة القتيلة، فهذا فوق احتمالي، هكذا همست هيفاء، فلتتحدث العصافير عن مصيبتها، فالمصيبة شاملة.

* * *

جثث فواحة ملونة

لو قطفت زهرة من الروض، فسوف تعرف جميع الأزهار فورًا، وحتى أزهار الحقول المجاورة، ويبدأ البكاء، والرثاء، والتحذير:

توجد وحوش في المنطقة. وبالطبع لا يفهم البشر لغة الأزهار، ولا يسمعون أي صراخ؛ لأن الأزهار تتكلم عن طريق الروائح، فالصراخ الحاد رائحة مستثارة، تعجب الإنسان، لأنه جهول بلغة الروض، ولا يفهم أن الزهرة التي في يده ترتعش من الألم، وأن باقي الأزهار تهاجمه صارخة: ابتعد أيها القاتل. ابتعد أيها الوحش.

وعندما يحين موعد قطف الورد والأزهار، يكون هناك رعب حقيقي، فحين تصرخ الزهرة الأولى، تنتبه الأزهار حتى آخر زهرة في الروض، وتقشعر بتلاتها وأوراقها، ويبدأ النشيج، وتنبه الحقل المجاور: انتبهوا فالوحوش قادمة.. الوحوش في الطريق.

وأنا كنت جهولا في يوم من الأيام، لأنني كنت أقطف الأزهار لأستمتع بها قليلا.. هل يستمتع إنسان عاقل بمنظر جثة؟.. هكذا البشر، ولكن الحظ أسعدني، كما لم يسعد كثيرين، وعرفت لغة الأزهار في حلم رائع، صحوت منه باكيًا، ودموعي تغرق ملابسي ندمًا على جرائم القتل التي ارتكبتها بقلب ميت.. والآن أحيا مستمتعا بأجمل لغة في العالم.. إنها أجمل من لثغة المعشوقة في سمع العاشق.

ملائكة
الباذنجان الأسود

ملائكة الباذنجان الأسود هي من أشد الملائكة جمالا، وهي تحمي الباذنجان الرائع ليل نهار، وهي التي دهنت بشرته باللون الأسود اللامع، فأخفى جسم الباذنجان الأبيض الرائع الشهي، خوفا من حسد الشياطين الخبيثة التي تجوب المنطقة أحيانًا، فالشياطين لا تحتمل القلب الأبيض الناصع المفيد للبشر، وهذا هو عمل ملائكة الباذنجان الأساسي، حماية الباذنجان من الشياطين والبشر الخبثاء.. وتطاردهم خارج حدود المنطقة كلها.

لكن أحيانًا ينجح البشر الخبثاء في المرور بحقل الباذنجان، أو تخترق الشياطين حصار الملائكة، لتفسد قلب الباذنجان الأبيض فتحدث الكارثة، وتجلس الملائكة حول الحقول باكية، بل إنها تبكي حول كل ثمرة باذنجان، لأن الشياطين والبشر الخبثاء أفسدوا قلب الباذنجان، فصار حار الطعم، وملأته البذور السيئة.. إنها أكبر كارثة في حقول الباذنجان.

* * *

ملائكة
زهرة عباد الشمس

لو ظللت أمدح زهرة عباد الشمس عشرة آلاف سنة ما وفيت حقها، ولا حتى وفيت بتلة واحدة، ولا يكفي مدح عشرة آلاف سنة للتعبير عن جمال وريقة واحدة.

وهذا أمر يعرفه الصوفيون، ورجال الدين الذين يعرفون قيمة الجمال، ويعرفه الشعراء، وتعرفه ملائكة النباتات والأزهار. وأنا أشتهي أن أموت في حقل من أزهار عباد الشمس، وأن أصير سمادًا لأروع الأزهار التي تقصدها كائنات من الفضاء الخارجي لتحج إليها.. كائنات شفافة تعرف معنى السحر المتدفق في الأرواح من قرص عباد الشمس، وملائكة الزهرة هي أبهج ملائكة النباتات، وهي تحافظ عليها، وترعاها.. كما تزور الفلاحين في الأحلام، وتأمرهم بزراعة الزهرة السامقة الهيفاء.

إن بعض عظماء الفلاحين.. والفلاحين الشعراء يزرعون زهرة عباد الشمس على حواف حقولهم أحيانا.

كل عدة سنوات أراها مرة في الحلم أولا، ثم أراها حقيقة، فأقف مسلوبًا أمامها، حتى أنني أستطيع بلا مبالغة أن أملأ بحيرة من دموع الفرح والنشوة.

ويكفي الجنس البشري فخرًا.. أن يعرف ملكة الأزهار، وسيدة الروعة.. زهرة عباد الشمس.

❊ ❊ ❊

ملائكة
رائحة الشمام

أراد الله سبحانه وتعالى أن يكافئ ألف ملاك رائع، فخلق الشمام، وطلب منهم أن يخترعوا رائحة للشمّام اللذيذ، حتى تكتمل المتعة، فالبشر سيأكلون الشمام ويشكرون الله، أما الملائكة، فسوف تأكل رائحة الشمام، وروائح أخرى مثل رائحة الأزهار والتفاح..

ظلت الملائكة تعمل، وتعمل، وتجرب، روائح بلا حصر، وتمزج روائح الأزهار مدة ألف سنة، ولم تستطع اختراع الرائحة التي توافق لذة الشمام.. وجربت روائح الكاكاو والبن والقرنفل، ومزجت آلاف الروائح بلا فائدة..

كانت الملائكة تظن أن روائح الجنة رائعة جدًا، فما أهمية رائحة أخرى؟ ولماذا لا يظل الشمام بلا رائحة؟ ولماذا لا يمكن الاستغناء عن الشمام؟ فإن فواكه الفردوس لذتها فائقة، ورائحتها لا مثيل لها.

عندما احتارت الملائكة، أرشدها الله العليم، فاهتدت إلى رائحة الشمّام الطازجة المعتقة والتي لا يمكن وصفها بسهولة.. دهشت الملائكة عندما شمت رائحة الشمام للمرة الأولى، وهتفت هذه هي الرائحة، ومن تلك اللحظة أصبحت رائحة الشمام هي الوجبة الألذ للملائكة، ولم تستبدلها بأية رائحة أخرى من روائح الفردوس التي يشمها المؤمنون من بعيد جدًا جدًا، قبل أن يدخلوا من أبواب الجنة المشرقة.

* * *

ملائكة القطن الضاحكة

أجمل ضحكة في الحياة هي ضحكة ملائكة لوزة القطن المتفتحة، وحقل القطن الضاحك أشهى من الموسيقى الرائعة.. ألوف الضحكات، ملايين الضحكات، تضحك لها الأذن، والعين، والروح، بهجة البياض هي مكافأة العمل الجاد تحت شمس الصيف القوية لشجرة القطن المثابرة، فقد تعبت، وتعبت، وعملت بجد من الصباح حتى المساء، شهرًا بعد شهر لتخترع الضحك الأبيض الناصع بحذر وحب.

عندما كنت طفلا هربت من كُتّاب الشيخ عبد الله يوم الخميس لأجمع القطن في غيطنا، وأخذت علقة ساخنة في ذلك اليوم البعيد، لم يكن لها معنى أبدًا.

للقطن تاريخ مؤثر في الريف المصري القديم.. من أول زراعتها، حتى تخضر الحقول، ثم تتفتح نواراته القمعية الصفراء، إلى أن تنمو لوزاته الخضراء المترعة بسائل الضحك، إلى أن تستوي، وتتفتح ضاحكة تحت رعاية ملائكة القطن بضحكتها المميزة المبشرة بالخير والبركة.

❊ ❊ ❊

ملائكة البرسيم

للبرسيم ملائكة خضراء شفافة ترعى البرسيم عودًا عودًا، وورقة ورقة، لتأكله الجواميس والأبقار، ويصبح لبنًا تأكل رغوته الملائكة، وتشرب رائحته.. وملائكة البرسيم تزور الفلاحين في الأحلام، حتى لا ينسوا موعد زراعة البرسيم، وتلحّ عليهم بزيادة مساحته، وتذكرهم بمواعيد الري، فالملائكة تعمل باجتهاد دائمًا.. كما أنها تغسل عيونها الساحرة بلون البرسيم الأخضر، ذي الخضرة النموذجية.. فلون البرسيم هو المعيار الذي تقيس النباتات والأشجار خضرتها على خضرته، وتفخر ملائكة البرسيم بذلك أيّما فخر، والنسيم يعشق تمسيد حقول البرسيم ليل نهار. وتبدأ أعياد الملائكة عندما تغمر أشعة الشمس حقول البرسيم حتى امتداد البصر.

❊ ❊ ❊

ملائكة الكوسة

أعظم الرسامين في العالم، لو شاهدوا نوارة الكوسة، لتركوا رسم الأزهار والورد مؤقتا، وتفرغوا لرسم الكوسة ونوارتها.. ليس لأنها أجمل من الأزهار، فلا يستطيع أي إنسان عاقل، أو حتى جاهل أن يقول كلمة نقد واحدة في حق الأزهار، بل يمكنك أن تقول عن أية زهرة، من أي نوع: إنها أجمل زهرة في العالم.

ولكن معظم الرسامين لم يكونوا فلاحين، ولم يشاهدوا تفاصيل نوارات الحقول ذات الجمال الشائق الكثيف، ونوارة الكوسة تحرسها ملائكة الكوسة بأجنحتها الصفراء الزاهية المشرقة، لأنّ اللون الأصفر الباهت المنطفئ يحطم القلب.

نبات الكوسة مثال للروعة.. عندما تتخلله الشمس، وتضيء زهرته، فتفخر ملائكة الكوسة بالكوسة، وتقول: انظروا يا سكان الحقول.. هذه النوارات والثمار من نتاجي.

❊ ❊ ❊

ملائكة العليق

تستطيع أن تترك الحياة كلها وراء ظهرك، بلا ذرة واحدة من الندم، وتجلس عدة ساعات لتتأمل زهرة نبات العليق الرشيقة الأنيقة، والتي يعرف روعتها المختصون بعلم الجمال، رغم أن بعض الحاقدين يقولون: إن العليق نبات متسلق، وبلا فائدة، وينسون سحر زهرته. وسوف يؤكد كلامي أعظم العلماء، ويثبتون علميًا أهمية زهرة العليق للكرة الأرضية، وهذا أمر لا أشك فيه ثانية واحدة.

ولو كنت خبيرا يمكن أن تأتي بطعامك، وشرابك، وكاميراتك، لو كنت تهوى التصوير الفوتوغرافي، وتجلس بجوار أزهار نبات العليق.. ستجدها في جوانب الحقول، وعلى شواطئ الترع والمساقي، توجد ملايين منها.. اجلس من قبل شروق الشمس إلى بعد الغروب، لتشاهد الرشيقة الأنيقة البيضاء، أو السماوية، أو البرتقالية، القمعية الشكل، وهي تتفتح، وتتكلم طول اليوم، وتعمل مستمتعة بالشمس.

❊ ❊ ❊

شجرة الطفولة

إذا كنت طفلا حزينا، أو شيخا حزينا، فنصيحتي أن تأكل بعض ثمار التوت، لو كنت في الربيع.. إن ثمرة واحدة تزيل جبلا من الحزن، وتبث شغف الطفولة في القلوب، وتغرق الوقت بأمطار السعادة.. وهذا الأمر مجرّب، وفوائده بلا حدود، وكل كتب العطارة والسحر التي ألفتها تؤكد ذلك.

وإذا لم تكن في موسم الربيع فيمكن أن ترسم شجرة توت مورقة مثمرة، فإن ذلك سيدفع البهجة في روحك. جرب ذلك.. أو تحلم أنك تتسلق شجرة توت، أبيض، أو أحمر، أو أسود، أو حبشي، فكل ألوان التوت علاج فعال للحزن والألم. وأوراق التوت أشهى طعام لدود القز، وشعب دود القز يعشق شجرة التوت ويقدّسها، وملائكة التوت تزور الأطفال ليلا في أحلامهم، وتخبرهم بالأشجار التي نضجت ثمارها، وتدلهم على مكانها.. وفي الفردوس سبعون ألف مليار شجرة توت، مخصصة لإسعاد الأطفال، والشعراء، والملائكة، وجميع سكان الفردوس.

❊ ❊ ❊

لآلئ الحياة

لو كنت مسئولا كبيرًا على مستوى العالم، لأمرت بعمل قانون عالمي، بمنع أكل فاكهة العنب بسرعة، بل يجب أن يغسل الإنسان العنب، ويضعه في طبق نظيف، وبعد ذلك يجلس أمامه لمدة ساعة لا تنقص دقيقة، ليتأمله، يتأمل لآلئ الحياة العظيمة. كما لا يجب أن يأكل الإنسان العنب إلا حبة حبة احترامًا لروعته، واستدارته وشفافيته.

إن تعريشة العنب البلدي محاطة بالسحر، إنها أسطورة في عالم النبات، وشجرة العنب هي أكثر الأشجار حساسية وروحانية، وهناك حقيقة تعرفها جميع الأشجار والنباتات وهي ارتباط حياة العنبة بحياة صاحبها، فإذا مات ماتت العنبة، وجفت من جذورها حتى أصغر ورقة بها.

وإذا كنت تمتلك كاميرا فوتغرافية، فمن العيب الفني الكبير ألا تصور عنقود العنب الأصفر، أو الأخضر الفاتح الشفاف، فما فائدة الكاميرا إذن؟

وأنا هنا أتحدث عن تكعيبة العنب البلدي، ولا يعني هذا أنني لا أحترم عنب الحقول، فحقول العنب التي تغمرها أشعة الشمس هي حقول من الفردوس، ولا يجرؤ حتى أجهل إنسان يعيش في المدينة ولا يهتم بالريف أن يقول كلمة سيئة عن حقول العنب..

ولكن تكعيبة العنب البلدي شيء آخر، فلها سحر لا يقاوم، وعندما أنظر إلى عنقود العنب أقول: يا إلهي.. من الأرض، من الماء والتراب تخرج هذه اللآلئ المشرقة الشهية المفعمة بالحلاوة.

❊ ❊ ❊

وها أنا، بعد ساعتين من التأمل أمد يدي إلى أول لؤلؤة شفافة، وأضعها في فمي.. أوه.. ما ألذها!!

❊ ❊ ❊

حسين الجاهل

أنا جاهل جدًا.. وهذا اعتراف. وأستطيع أن أرفع صوتي في مفترق الطرق وأقول: أنا جاهل، وأستطيع أن أعلق لوحة على صدري مكتوب عليها: أنا جاهل، بل يمكن أن أقولها في ميكروفون: أنا جاهل، وأمارس جهلي منذ سبعة عشر عامًا مع سبق الإصرار والترصد، ولا يوجد أكثر جهلا مني، وقد اكتشفت ذلك منذ ثلاثة أيام فقط.

أنا جاهل لأنني لم أمسك فأسًا، ولم أعمل في الغيط، وأتعامل مع الجواميس والعجول والحمير والماعز، ولم أزرع الذرة، ولم أزرع القمح، ولم أستمتع بالحصاد، ولم أزرع الخضروات والبرسيم.. ولم أمارس الفلاحة منذ سبعة عشر عامًا، وارتضيت أن أكون مُعلّمًا، وكان يجب أن أظل تلميذا، أتعلم من الطبيعة، ومن ملائكة النباتات، وأصادق الحيوانات، وأتعلم من الحشرات، وأراقب النمل والنحل، وأرى معجزات الله في الغيطان، فالمجد لتلاميذ الغيطان النجباء الذين يتعاملون مع أرواح الأشجار والنباتات، وها هي تتخذ موقفا ضدي، ولها الحق:

- نعم.. لحقول الذرة ألا تبتسم لي، بأعوادها الهيفاء ذات الأكواز الشهية، وللقطن الضاحك أن يعبس في وجهي، وتقوم ملائكته بإهانتي، وللقمح أن يتجاهلني حين أمرّ به، ويقول: ها هو الذي نسي أغنية عبد الوهاب:

القمح الليلة ليلة عيده يا رب تبارك وتزيده

وللباذنجان والفلفل الأخضر أن ينظرا للناحية الأخرى حين أمر بهما سريعًا على الموتوسيكل.. إنهما يظنان أنني لا أهتم بهما، فيتجاهلاني، وللجرجير أن يكشر في وجهي، وللرز، وفول الصويا، والبطاطس، تلك التي زرعناها عدة مرات أن تقول أمام جميع النباتات: إننا لا نعرفه ولا نريد، فهو لم يعد يشم رائحة الأرض، ولا يحب أن تتسخ يداه بالطين، ويخاف أن يتسخ حذاؤه، وللبرسيم ملك اللون الأخضر أن يعطيني منظرا سيئا حين أصوره بالكاميرا زينت الصيادة، ويعاملني كأنني عدو، كما تفعل البامية والكوسة، واللوفة بأزهارها الغامرة باللون الأصفر، ولحقول الموز أن تغضب مني، ولجنائن البرتقال التي تغمر الحياة بعطرها مدة أسبوعين كل سنة، لها أن تشتمني كلما مررت بها، والطماطم ذات اللون الذي لا يمكن تجاهله، الطماطم اللامعة التي زرعناها طوال سنوات الطفولة، مع البطيخ والشمام على شاطئ النيل، لها أن تقول غاضبة، عندما كنت طفلا كنا نعرفك ولم تكن مغرورًا، وللنيل أن ينكرني قائلا: أصبحت تكتفي بمراقبتي.. اخلع ملابسك أيها الجاهل وتعال في أحضاني.. ولأشجار الكافور، والتوت، والخروع، والسيسبان، والزنزلخت، والجميز، والنخيل أن تنساني كما نسيتها.

وللجواميس والحمير والماعز أن تقول حين أمر بها: لقد كان حيوانا جيدًا، فلماذا أصبح إنسانا سيئا؟.. ليس هذا حسين الذي كنا نعرفه.. إنه غريب، مثل الناس في المدن الذين يظنون البرسيم ملوخية، رغم أنه لم يترك القرية، ثم تضحك ساخرة مني.

❊ ❊ ❊

أكثر من ثلاثين عامًا كنت تلميذا جيدًا للطبيعة، وصديقا للمخلوقات، والآن أصبحت أتعامل معها من بعيد، وأصورها أحيانا، لذلك أنا جاهل، لأنني لم أظل تلميذا إلى الأبد.

أحتاج الآن أن أذهب إلى الغيط، وأرقد على صدر الأرض وأبكي معتذرا، وأبوس الأغصان معتذرا، وأضع بعض التراب في جيوبي، ربما ترضى الأرض، والنباتات، والحيوانات عني. أنا الجاهل الخائن.

❊ ❊ ❊

القمر العاشق

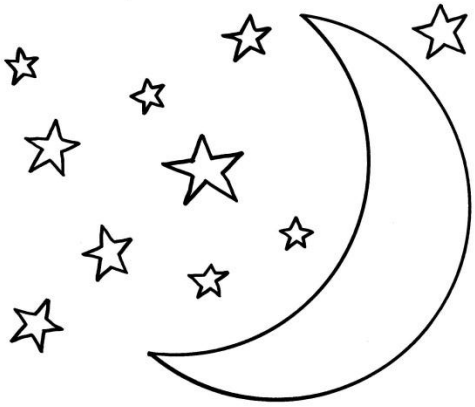

كل من هو خارج المدينة ليلا، أو خارج القرية، ورأى القمر ولم يتوقف ليتأمل جماله، ويبتسم لوجهه المنير، ويقول له: مرحبًا أيها الجميل الساحر، أيها العاشق للأرض، يا صاحب النور الشفاف، كل من لا يفعل ذلك هو أكبر مغفل، وحياته على الأرض حرام، لأنه لا يقدر الجمال الخالد.

فعليك إن كنت من هؤلاء أن تعوّض خسارتك فورًا، وأن تعاهد نفسك أنك ستخصص وقتا كافيًا حتى النفس الأخير من حياتك لتتأمل القمر.. فالقمر كفيل بأن يجعل حياتك ثرية، ويملأ لياليك بالشعر والأمل.

❊ ❊ ❊

غزل

يا حلوة، يا عسل النحل، يا سكر، يا سكاكر، يا ناعمة، يا شفافة، يا رقيقة، يا خطيرة الجمال، ارحمي قلبي. ما كل هذا السحر؟ أيتها العاطرة، ما كل هذه الثياب الفاخرة، أيتها الرشيقة، يا هيفاء، يا أرق من ألوان الطيف، أريد أن أتذوق رحيقك الرائع، أيتها المشرقة.

هكذا أنا دائمًا أينما سرت، أغازل الأزهار، والورد والنباتات، والأشجار، والفراشات، بلا توقف، وإذا قابلت زهرة عباد الشمس أترك كل شيء، وأتفرغ لمغازلتها ومدح جمالها ساعات متواصلة، فتضحك الجميلة من كلامي، وعندما أودعها أظل أغازلها في خيالي، إنها رائعة وتستحق المغازلة..

❊ ❊ ❊

قائمة الأزهار

للأزهار والنباتات والأشجار والأعشاب قائمة سوداء لا تتهاون فيها أبدًا، وقد وضعت فيها كل الوحوش القبيحة، وأكثر البشر بشاعة وقذارة، وهم الجديرون بوضعهم في القائمة السوداء، وعم أعداء الحرية والديمقراطية والإنسانية والحق والخير والحب والجمال. إنهم المستمتعون بالقذارة مثل الخنازير.

كل من يقف ضد الحرية والديمقراطية، وكل من يتعدى على أحد بسبب عقيدته. هو في القائمة السوداء للأزهار.

لكن هؤلاء لا يعرفون لغة الطبيعة، ولو عرفوها لأغضبهم ذلك، فالحشائش الخضراء لا تحتمل هؤلاء البشعين، وهي تصرخ إذا داس أحدهم عليها: ابتعد.. ارفع قدميك عني أيها الوحش، يا ابن الشنيعة، أنا لا أحتمل رائحتك المنفرة، أنا أحتمل الجبال ولا أحتملك.. ابتعد أيها الخبيث يا ابن الشنيعة.

وتصرخ الأزهار، وتسد أنوفها إذا مر شخص من القائمة السوداء: يا للقرف.. يع يع يع.. ابتعد عن هنا أيها الحقير المنافق، يا عدو الحرية والديمقراطية، يا من ترقص أمام الفاسدين كالنساء، ابتعد يا ابن الشنيعة، يا من تكره أصحاب العقائد الأخرى، ابتعد أيها البشع.

والهواء يصرخ مفزوعًا: يا للهول، إن هذا الوحش الدنيء لا يتنفس إنه يشفطني شفطا، وتلوثني رئتاه بأنفاسه النجسة، إن رئتاه حقيرتان تمامًا، وأنفاس المستنقعات أفضل من أنفاس ذلك الشيطان، حتى المقاعد التي يجلس عليها تصرخ ألمًا: قم واتركني أيها البشع..

❊ ❊ ❊

احذر يا صديقي أن يوضع اسمك في القائمة السوداء للطبيعة، لأنها تلعن البشعين، أعداء الحرية، تلعنهم كل ثانية، وعندما يموت أحدهم، يظن الناس أنه مات موتا طبيعيًا، ولا يعرف أحد أنّ الطبيعة قد قتلته، فقد خنقه الهواء ليتخلص من قذارته، وسممته رائحة الأزهار، لأنها لا تحتمل بشاعته، لأن اسمه في القائمة السوداء.

❊ ❊ ❊

زوروني كل سنة مرة

لقد بكيت. نعم، ولي الفخر أنني بكيت، ويمكن أن أبكي مرة أخرى فرحًا بالفن الحقيقي، باللحن السماوي الإنساني، والكلمات الشفيفة الحنون.. المتدفقة بالعتاب الجميل الذي حدث مرة واحدة في تاريخ الغناء، وبالصوت الذي يدهش الملائكة، فتنسى نفسها وهي تستمع إلى صوت فيروز.

سالت دموعي أنهارًا في روحي "زورونـي كل سنة مرة".

سيد درويش، وبديع خيري، الفنانان اللذان اكتشفا ينابيع الجمال في البساطة، والإبداع في الحياة..

نعم.. أستطيع أن أكتب كتابًا من عشرة آلاف صفحة من القطع الكبير في حجم لوحات الرسم، والحروف الصغيرة، أمدح فيه سيد درويش، وكتابًا آخر أمدح فيه بديع خيري، وكتابًا ثالثًا أمدح فيه فيروز، ولن أوفيهم حقهم.

كان الفنانان الممسوسان بالروعة في زيارة لصديق مريض، وعندما ودّعاه، قال الصديق المريض: زوروني كل سنة مرة، وما تنسانيش يا شيخ سيد إنت وبديع.

أتخيلهما الآن وهما ينزلان السلالم، ويسيران صامتين، والفكرة تتدفق في روح كل منهما، ويجلسان في مقهى

فـي كـوم الدكـة، ترفـرف حولهمـا ملائكـة الشـعر والموسـيقى، لا لتلهمهمـا بـل لتسـتمع إلـى إبـداعهما.. يكتب بـديع خيـري الأغنيـة، ويلحنهـا سيد درويـش فـي جلسة واحدة، إنهما الموهوبان الذهبيان:

زوروني كل سنة حرام تنسوني بالمرّة.

❊ ❊ ❊

جارة القمر وجيرانه

كل أهل الغناء، والمحبين للفن، وحتى الناس العاديين يظنون أن فيروز مطربة من البشر، فهي كانت طفلة، وكبرت، وحدث لها ما يحدث للبشر، فتزوجت وأنجبت. وغنت، فسحرت الملائكة أولا، والبشر ثانيًا.. ورحلات الفضائيين لا تتوقف من خارج المجموعة الشمسية لتستمع إلى فيروز وتراها.

كل ما سبق معروف، ولكن الحقيقة التي يعرفها الصوفيون العظماء، أنّ كل ذلك خداع، ففيروز ليست بشرية، ولا يمكن لها أن تكون.. إنها – وهذا سر – ملاك، وتغني كما تغني الملائكة، وإذا أردت أن ترى ملاكا فشاهد فيروز.. إنها صورة طبق الأصل للملائكة، وإذا أردت أن تستمع إلى ملاك فاستمع إلى فيروز، ولو كانت روحك ظامئة، فصوت فيروز سيرويها.. إنه مثل لذة الماء العذب لظامئ في الصحراء.. إنه اللذة الدائمة.

والعجيب أن هذا السحر موجود ومتوفر، ويستطيع الجميع أن يحصل عليه، أما إذا أردت أن تقتل مشاعرك، وتلوث روحك، فاستمع إلى أصوات الماعز، إنهم كثيرون، ويملئون الفضاء مأمأة، ولا تظن أنني أكره صوت الماعز الحقيقي، فأنا لا يمكن أن أكره صوت الماعز الحقيقي، ولا يمكن أن أنتقد شعب الماعز، فصوت الماعز رائع للماعز، وهو لغة من أرقى اللغات، وأنا لا أحتمل أن يقابلني فرد من شعب

الماعز، فيلومني، ولكن أقصد البشر الذين يقلّدون صوت الماعز، ويغنون بذلك الصوت، فكما أن الماعز لا يقلد البشر، فمن العار أن يقلد البشر الماعز.

إن هؤلاء المتمعّزين والمتمعّزات أخطر من الإيدز ومن أنفلونزا الطيور، والخنازير، والسرطان، وهم يحاصرونك في كل مكان بصوتهم المتمعز.

وإذا كنت تصر على الاستماع إليهم، فأغلق هذا الكتاب فورا.. هذا أمر، فأنت عدوّي، ولا تقرأ حرفا واحدًا، وابتعد عن هذا الكتاب ألف كيلومتر، بل يمكن أن تقتل هذا الكتاب، فهذا لن يضايقني. أما إذا فكرت أن تستمع إلى أصوات الملائكة، فأنت صديقي، وسوف يغيرك الفن الأصيل، وتكون داعية لسيد درويش، وفيروز، وعبد الوهاب، ووديع الصافي، ونجاة، وصباح، وشادية، وعبد المطلب، وفهد بلان، وصباح فخري، وناظم الغزالي، وذكرى القتيلة، وسميرة توفيق، ومحمد منير، وعزيزة جلال، وميادة الحناوي، ومحمد عبده، وكارم محمود، وعبد العزيز محمود، ومحمد رشدي، ومحمد فوزي، ومحمد قنديل، والشيخ إمام عيسى، وعفاف راضي، والشيخ سيد النقشبندي، وياسين التهامي، وشيرين عبد الوهاب، وحكيم، وفاطمة عيد، ومتقال قناوي، وسعد الصغير، وشعبان عبد الرحيم أشجع مغني في العالم العربي الحديث. وسوف تكون داعية أيضا لبلابل ومطربي القرآن

الكـريم: الشـيخ محمـد رفعـت، والشـيخ مصـطفى إسـماعيل، والشـيخ البنـا، والشـيخ عبـد الباسـط عبـد الصـمد، والشـيخ الحصـري، والشـيخ محمـد صـديق المنشـاوي.. هـؤلاء البلابـل الـذين يترنمـون بأنغـام السماء.

❊ ❊ ❊

الموسيقار

الأوبـرا ليسـت عربيـة، والكـل يعـرف ذلـك، الأشـجار والأحجار، والرمـال، ومايسترو الضفادع المحترم، ولا يمكـن أن يجـادل أحـد فـي هـذه المعلومـة، فهـي ليسـت سرًا.

إذن كيف يعيش العرب بدون الأوبرا؟ إن الأوبرا رائعة، رغم أنني لا أفهمها، ولا أشاهدها، ولكن اسمها وحده يملأ القلوب بالمهابة الفنية، والعظمة الغامضة..

أمـا العـرب فيعرفـون الـدور والطقطوقـة، والمـوال والموشـح، والأغنيـة والـرقص البلـدي والشـعبي، كمـا اخترعـوا شـيئا هجينًـا اسـمه الأوبريـت، ومونولوجـات إسماعيل ياسين، ولكن الحياة بدون الأوبرا والموسيقى الكلاسيك مرعبة وتكسر القلب.

إنّ موت العرب حلال إن كانوا بلا موسيقى رائعة، وها هو الاكتشاف المثير، موسيقى وأغاني العبقري محمد عبـد الوهـاب، هـي البـديل الأصـيل عـن الأوبـرا والموسيقى الكلاسيك.. نعم للعرب أن يفخروا لألوف السنوات القادمة بعبد الوهاب.

وأنا سأحاول أن أمدح عبد الوهاب في كتاب من عشرة آلاف صفحة من القطع الكبير في حجم لوحات الرسم، والحروف الصغيرة، وكل هذا الكتاب لن يوفي حق أغنيـة واحدة لعبد الوهاب ومحمود حسن إسماعيل، وهي أغنية النهر الخالد. وسوف أبدأ الآن.

* * *

الفهرس

إهداء ٥
صلاة الأرنب ٧
مؤامرة في حديقة المرجان ١٣
أخلاق باسو ١٩
ملك الغابة الجديد ٢٣
صلاة من أجل الحصان ٤١
في حديث عابر ٤٩
العاشق ٥٣
كلمة الحبر الأعظم الأخيرة ٥٧
مأساة صوفي ٦٣
تحد ٦٧
صلاة الرمال ٧١
المايسترو ٧٥
يا للروعة ٨١
تحيا الملكة ٨٧
خط النهاية ٩١
ربع نهيق ٩٥
تعاليم زازا ملك الطيور ١٠١

مفاوضة بين حسين وبيساو ١٠٧
رحلة الحج الأخيرة إلى مسقط الرأس ١١٥
الموت لمن يتراجع ١٢٣
مأساة العجوز النجم ١٢٧
عملية تجميل قاتلة ١٤١
العفريت شيش ١٤٧
الزعيم عيطة ١٦١
طلب أجازة ١٦٥
المتآمران ١٦٩
أبتعد عن طريقي إلى الأبد ١٧٥
عودة ركس ١٨١
خيال الحقل البطل ١٨٧
أهلاً بالحب ١٩٩
أربع وعشرون ساعة من البكاء المتواصل الغزير كالمطر ٢٠٧
جثث فواحة ملونة ٢١١
ملائكة الباذنجان الأسود ٢١٣
ملائكة زهرة عباد الشمس ٢١٥
ملائكة رائحة الشمام ٢١٧
ملائكة القطن الضاحك ٢١٩
ملائكة البرسيم ٢٢١
ملائكة الكوسة ٢٢٣
ملائكة العليق ٢٢٥
شجرة الطفولة ٢٢٧

لآلي الحياة ٢٢٩
حسين الجاهل ٢٣٣
القمر العاشق ٢٣٧
غزل ٢٣٩
قائمة الأزهار ٢٤١
زوروني كل سنة مرة ٢٤٥
جارة القمر وجيرانه ٢٤٩
الموسيقار ٢٥٣

حسين أحمد إسماعيل

كاتب، ومهتم بالفن التشكيلي والتصوير الفوتوغرافي..
للكاتب ستة نصوص مقررة في منهج الصف الثالث الابتدائي، بداية من العام الدراسي ٢٠٠٦ حتى ٢٠١٤
فاز بالمسابقة المركزية للهيئة العامة لقصور الثقافة - شعر الأطفال - عام ١٩٩٧م
مارس الفن التشكيلي، وأقام معارض خاصة، وشارك في معارض عامة.
تولى رئاسة نادي أدب بنها من ١٩٩٦ إلى ١٩٩٨،
وشارك في مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم،
نشرت له الكثير من القصائد في المجلات والجرائد.

المواقع الإلكترونية:

منتدى أتريب
http://tata.forumegypt.net
فيس بوك: حسين إسماعيل
http://facebook.com/hussein51061
تويتر: حسين إسماعيل
https://twitter.com/husseinalsha3r

صدر له:

حديقة الذكريات: الهيئة العامة لقصور الثقافة	١٩٩٨
منـــــــــازل الـــــــــروح	١٩٩٩
مشـــــــــاعر خاصـــــــــة	١٩٩٩
المـــــلاك: مديريـــــة الثقافـــــة بالقليوبيـــــة	٢٠٠١
الشـــــــطح الروحـــــــي	٢٠٠٤
لـــيس علـــى المجنـــون حـــرج	٢٠٠٦
الأســـــــــــــطورية	٢٠٠٧
تـــداعيات مجنـــون محتـــرف	٢٠٠٧
مرحبا بالحياة.. شعر للأطفال	٢٠٠٧
الزفـــــــرة الأخيـــــــرة	٢٠٠٨
حـــرب علـــى قلبـــي (عـــن مذبحـــة غـــزة)	٢٠٠٨
حيـاة الجيـران المثيـرة (قصـص للأطفـال)	٢٠٠٩
البســـتاني فـــي الأحـــراش (قصـــص)	٢٠٠٩
حي على النور ديوان شعر	٢٠٠٩
التعلـــــــيم الممتـــــــع	٢٠١٩
شـــــخص مضـــــى قـــــدماً	٢٠١٩

تحت الطبع:

- أحراش النهار والليل
- أهريق دمي (نصوص)
- يوميات الروح (نصوص)
- حافة الغابة (رواية)
- قمر أندلسي
- الوباء العربي
- بيان من أطفال العالم

دار إضافة
للنشر والتوزيع

الإسكندرية

ج . م . ع

www.Idafabooks.com